



مجلة عربية شهرية تصدر من بيروت | العدد الثاني | تشرين أول - أكتوبر 2019 | 180post.com



الظاهرة الحريرية: الوراثة المستحيلة



180post.com

١٨٠ مجلة سياسية إقتصادية عربية، تصدر شهريا بإمتياز "الجهاد" لصاحبه طلال سلمان

هيئة تحرير مجلة وموقع ١٨٠: أمين قمورية، سامي كليب، حسين أيوب، وسام متي وعلي شهاب

المدير المسؤول: حسين أيوب

إخراج: حسين ناصر الدين

لوحات العدد: من مجموعة منصة "ذات" الفنية
www.zaat.me

لوحة الغلاف: أسامة بعلبكي

لوحات سيتا مانوكيان من كتاب
Seta Manoukian Painting in Levitation
الصادر عن مجموعة سرادار و kaph books.

العنوان: الحمراء، نزلة عبد العزيز، شارع الست
نسب، بناية المباني، ط 8

هاتف: +961 1 747974

البريد الإلكتروني: 180majalla@gmail.com

السعر: خمسة آلاف ليرة لبنانية أو ما يعادلها
الإشتراك للأفراد والمؤسسات: 100 دولار أمريكي
حقوق الطبع والنشر محفوظة

فلسطين تسمو على ما عداها

الحركة، للأسف، ومن دون أن يقرروا هم ذلك. هذا الجيل الفلسطيني الجديد، الثائر، الهادر، المتأهب، المتفعل من كل الصياغات الحزبية والتنظيمية، لن يبقى مكتوف اليدين، خصوصا عندما يرى عدوه ينجز إنتخابات ديموقراطية، تجعله يترحم على واقعه الإنقسامي المتشظي لا بل الدموي. الجيل الفلسطيني الجديد هو الرهان، تماما كما كان جيل الثورات العربية قبل ثمانية أعوام، قبل أن يُسلب حراكهم التحرري في دهاليز المشاريع والصراعات المتجاوزة لحدود أوطانهم، ولنطاق "الوطن الأكبر" المقطع الأوصال. ثمة خصوصية فلسطينية هنا بطبيعة الحال. فلسطين نفسها هدف يسمو على أي هدف آخر، وإن كانت الأهداف كلها متكاملة. ولكن الخصوصية لا تنفي وجود القاسم المشترك، الذي يمكن اختزاله بغياب القيادة، أو الرافعة السياسية للحالة التحررية، وهو الغياب نفسه الذي أدى بشكل أو بآخر، إلى تحويل تلك المياه الراكدة التي تحركت في نهاية العام 2010 إلى بحر من الدماء، ويهدد اليوم بالدخول مجدداً في تلك الدائرة المفرغة العنيفة، ليتبدد ما تحقق في الحركات الاخيرة، التي عادت لتثبت أن قلب الشعوب العربية ما زال ينض، برغم كل ما انتجته الانتكاسات المتلاحقة من تصليات في شرايينه.

أسرة 180

لم يكن الوضع العربي أسوأ مما نشهد في يومنا هذا. قد تأتي إشارات إيجابية، من النوع الذي يدل على أن إرادة شعوبنا لم تهزم، بدليل أعراس الديمقراطية المفتوحة على شتى الإحتمالات والمخاطر، خصوصا في السودان وتونس والجزائر، غير أن ما تعيشه فلسطين، يأتيها بمفارقات لا مثيل لها. أي شعب في العالم يؤرث ثورته لجيل بعد جيل؟ أية إرادة تجعل هؤلاء المنتفضين على ليل الإحتلال الطويل، لا يكلون ولا يملون ولا يستسلمون ولا يياسون. كل يوم يسقط شهيد أو جريح منهم، وكل يوم تضيق الزنازين ولا تسكت قبضاتهم ورساصاتهم ومسيرات عودتهم وإرادتهم بالحياة والحرية والكرامة. أي شعب هذا الذي خلق على هذه الأرض المقدسة وأدمن حكايتها وكانت له في يوم من الأيام مقاومة تفتخر بها شعوب الأرض قاطبة. المؤسف أن بعض أبرز فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية أفرغت القضية من مضمونها التاريخي والنضالي. صارت فلسطين بالنسبة إلى هؤلاء مجرد قضية عقارية. أموال. سلطة فاسدة. أمن متأمر على شعبه. وفي المقابل، حكومة موازية، تتغذى من رحم الإنقسام. كيف لا يرف جفن هؤلاء جميعا عندما يشاهدون هؤلاء الفتيان والفتيات يواجهون محاولات إقتحام بيوتهم وأرضهم، وفي المقابل، يقتحمون بصدورهم الدوريات والمستوطنات الإسرائيلية. وبدل أن تكون الحركة الوطنية الفلسطينية رافعة للنضال الفلسطيني، صار المناضلون الفلسطينيون رافعة لهذه



فهرس

الظاهرة الحيرية: الوراثة المستحيلة



١٤
ثقل الإرث الذي لا يحتمل
جهاد بزي

١٦
الحيري بين الإشبناك
والإنتظار وأولوية السراي
حسين أيوب

٢٠
رحلة الهبوط من الأسطورة
إلى القاع السحيق
قاسم يوسف

٢٤
السعودية وآل الحيري..
شتان ما بين الاب والابن
سليمان نمر

٢٥
الحيري ودمشق..
مسألة وقت
سامي كليب

٢٦
الحيرية: غابت القضية،
فغاب التنظيم والعصب
أمين قسورية

٢٨
علاء الخواجة..
ديكتاتورية المال
18٥

٦
رسالة رئيس الجمهورية الى مجلس
النواب.. ومعضلة تفسير الدستور
د. بهيج طيارة

٩
مصطفى اللباد، عن
«حداق» لم تنته
علي حاشم

١٠
الحروب الدينية: بين الولي والحاخام..
معارك تشتعل وكنائس تُضيق وجنة مفقودة
سامي كليب

٣٠
من الذاكرة:
طلال سلمان
مهى زراقة

٣٦
بين تركيا وروسيا.. أكثر
من «اس-400»
وسام مني

٣٨
خارطة الصراع في شرق الفرات:
اللاعبون الدوليون والإقليميون
أحمد الدرزي

٤٠
«روح آفا» حلم أكراد
سوريا الذي يتبدد
موسى عاصي

٤٢
حلب.. عاصمة سوريا
الاقتصادية تنتظر الفرج
علاء حليبي

٤٤
«إعادة الإعمار»: الصراع
على مستقبل سوريا
فراس أبو مصلح

٤٦
بين دمشق وعمان.. أشواق
وأشواق
رائية الجعري

٤٨
الإسماك بموانئ المنطقة.. أحلاف
وعداوات ومصالح
18٥

٥٠
ضربة «أرامكو»: ما بعد
النفط.. ما بعد ترامب
إسلام أبو العز

٥١
الأردن و«إسرائيل»..
برودة وعلاقة منهكة
سميح المعاينة

٥٢
السادات وإسرائيل..
صراع الأساطير والأوهام
منسى سكرية

٥٦
في عراء «الروبوتات»
زاهي وهبي

من يحكم لبنان.. يُفضل العتمة

الفضل شلاق



حسين ماضي - لبنان

الدولة هي الاطار الناظم للمجتمع. هي تعبير واضح لا لبس فيه عن المجتمع في انتظامه. بوجوده تكون الدولة موجودة، وبغيابه تكون الدولة فاشلة. لبنان دولة فاشلة. مع الدولة الفاشلة، يكون المجتمع فاشلاً، إذ يفشل في الحفاظ على وحدته.

عند الغزو. يستيحيون الدولة والنظام، وهذا ما يحصل. يحافظون على العتمة في تدبير شؤون الدولة - النظام. اللصوص غالباً ما يسرقون في عتمة الليل. من يحكم لبنان يفضل العتمة. أصبح الليل كافتراً شديد العتمة؛ تضليل معتم يناسب السرقة. لا يعرف الشعب شيئاً عما يجري في الكواليس. السرقة هي المبدأ. الصلاح عند من يعملون في الدولة هو الاستثناء. علينا الخجل من أنفسنا. نمارس التدمير الذاتي بأجلي مظاهره.

من يُبقي هذا الهيكل المخلع المشلح متماسكاً؟ بالتأكيد ليست عبقرية أبنائه، بل قوى خارجية. القوى ذاتها التي نستتبع أنفسنا لها. نحن مستعمرة، أو شبه مستعمرة، لقوة كبرى واحدة أو لعدة قوى. منذ زمن قريب، قيل إن البلد أشبه بالفندق نسبة لكثرة هجرة أبنائه الذين يعودون أيام العطل لقضاء بعض الأيام مع ذويهم. الآن، يصح القول أن البلد مستعمرة. يدخله الأجانب الآتين الى القواعد الأجنبية دون فيزا (بالتأكيد)، لأن الطائرات الأميركية تنزل في مطار حامات، ولا يُعتقد أن هناك من أجهزة الدولة من يتفقد جوازات السفر للوافدين على هذه الطائرات، أو أن الدولة تعلم أو تريد أن تعلم بوجود هذه القواعد (هناك أكثر من قاعدة أميركية في لبنان). هناك أجهزة أمنية أجنبية تتحرك بحرية في لبنان أيضاً.

لبنان كمستعمرة والسلطة كلعبة داما

في زمن الاستعمار (الانتداب)، كانت هناك مؤسسات. رئاسات للوزارة وللنواب وللجمهورية. أجهزة أمنية وقضائية وبيروقراطية. كانت على صورة البلد الذي يستعمر لبنان. هذا أمر طبيعي. كانت فرنسا ليبرالية. فكان نظام لبنان ليبرالياً. لم نحافظ على ذلك في عهود الاستقلال إلا لفترات قصيرة. تلك الليبرالية لم تكن من حسنات النظام

المستعمر بل من ضروراته. أصبح اللبنانيون يقولون عن في حكم الاستقلال، فقد صار التعبير مبعثاً على الضحك. في الدولة الفاشلة، والمجتمع الفاشل، والنظام فاقد الهيبة، ما يضحك ويبيكي في آن معاً. لسنا نترحم على عصر الاستعمار، انما نبكي لعجزنا عن بناء مستقبل لنا ولأولادنا ولأحفادنا. نبكي لفقدان ما يمكن أن يعث فينا القدرة على الضحك واللهو. نبكي لأنه لم يبق لدينا شيء نعتز به. فقدان الدولة، ووحدة المجتمع، يعني فقدان الكرامة الانسانية. مقعدون في بلدنا ونُدعي الاستقلال. لا ندعي العجز لكننا نمارسه. هل يتفاعل المقعد المشلول؟

الأزمات كثيرة ومتوالية كان هناك في الداخل والخارج أو في الداخل قبل الخارج، من يثيرها. معظمها تحمل الطابع المفتعل والمقصود. كأن هناك من يريد أن نرضخ لما كنا لا نرضخ له لو كان الوضع يبعث على الراحة والاستقرار. لبنان كمستعمرة لعدة بلدان كبرى واقليمية. وأهل السلطة فيه يبادق في لعبة شطرنج. عقواً ربما كانت الداما تعبيراً أوفى لسلطتها، نسبة الى تعقيد الشطرنج وقلة التعقيدات وأشكال البيادق التي تدل على الوضع الذي نحن فيه. المياه مخصصة. تشتري مياه الشفة والاستعمال المنزلي من كميونات خاصة تملكها شركات. الكهرباء مخصصة. تعتمد على "مولدات الحي" المملوكة فردياً، ولا ندري إذا كانت عصابة، عقواً شركة تديرها جميعاً. الهاتف الخليوي ملك عام لكن الإدارة مخصصة. الهاتف الثابت: التوزيع مخصص.

الطرق: لا تعرف كيف تخصصها لأنها تتصلّب استثماراً يستنكف القطاع الخاص عن المخاطرة فيها. الخصصة عندنا هي استثمار الدولة رؤوس الأموال (وبعض الاستدانة) في المشاريع الكبرى، بينما القطاع الخاص يستفيد دون أن يستثمر فيها. معظم الهيئات العامة التابعة للدولة لا تعرف عنها الكثير،

لكن ارتفاع رواتب العاملين فيها، خاصة في مجالس إدارتها، يجعلها أشبه الملكية الخاصة.
بفضل الطوائف التي تُكرس هذه المؤسسات كغنائم لأرباب الطوائف. عدد هذه المؤسسات كبير والقيمون عليها محميون. لا لزوم للاسترسال في تعدادها.

معظم الأجهزة الأمنية والبيروقراطية مطيفة (كل منها يتبع لطائفة، أي الي زعيم طائفة). بحكم الواقع مطيفة. يمارس رجالها السياسة التي يفترض أن تكون منوطة بالطبقة السياسية.

أملكا الدولة، المشاعات، الأوقاف، كلها يجري الاستيلاء عليها لصالح الملكية الفردية.

نسمع عن المتاجرة بالأولاد لبيعهم كعبيد. ولا نعرف عن الأمر كثيرًا.

خصخصة في كل مكان. البلد كله مخصص. المخصص هو ملكية خاصة يملكه فرد أو شركة. القطاع العام هو ما يكون مشاعًا تملكه القرية أو المدينة، أو ما كان ملكية للدولة. لم نكن نسمع عن الخصخصة قبل 2005، أي قبل اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري. لا ندرى إذا كانت مهمة القطاع العام، بما في ذلك سلطة الدولة، إدارة القطاع الخاص. كل ما يشاع، عن اقتناع يساري أو يميني، أن القطاع العام فاشل بالطبيعة، أي بحكم وجوده. لا برهان على صحة هذه المقولة. بل هي تعني أن يدير قلة من الناس قطاعًا واسعًا من المنشآت أو الأراضي خير من أن يديره المجتمع. هذا يعني أن لدى هذه القلة كفاءة أكثر من المجتمع. من أين جاءت هذه القلة. أليس من المجتمع؟ أليست هي على شاكته؟ انها قلة تريد السيطرة على المجتمع وعلى ما ينتج. القلة التي تتمتع بالكفاءة في الإدارة الحالية هي النخبة المستنثة والاستثنائية لأنها تملك كفاءة المال. أما الأكفاء في العلوم من الفيزياء الى الكيمياء الى الهندسة، الخ... فهم لا يجب أن يملكوا شيئًا إلا رواتب تكاد لا تكفيهم. مع تراجع الصناعة والزراعة وبقية قوى الإنتاج، نقى شعبًا لا لزوم له، إلا في بعض الخدمات نقدمها لمن اختارهم الله واستثناهم بسبب كفاءة هي أسمى من الكفاءات الأخرى. الكفاءة السامية الوحيدة هي كفاءة المال. معظم كفاة المال لا يعرفون عن المحاسبة شيئًا، ولا عن الرياضيات شيئًا، إلا ربما الجمع والطرح. هذا الأمر يقوم لهم به المحاسبون كموظفين لديهم. نقى في مجتمع يسيطر فيه الأقل كفاءة على الأكثر كفاءة. الكفاءة لا تعني شيئًا أن لم تشمل لدى الفرد الواحد مجالات شتى ورؤية تستند على علوم شتى.

المصارف حاكمنا الفعلي

الحاكم الفعلي في بلدنا هو قطاع المصارف. لا ننسى أن كل مدخراتنا كعامة الشعب تقبع في أروقة المصارف. هؤلاء يتصرفون بها. لهم حق المنفعة. وهذا نوع من الملكية. قيل الملك لله، وحق المنفعة للعباد. الأرض لمن يزرعها. لكن حق الرقبة لله. للمصارف الآن حق المنفعة والرقبة. لهم حق الاستثمار. للمودعين حق الرقبة نظريًا وفي أوهامهم. لا يعرف المودعون عن أموالهم شيئًا بعد أن تودع. يهددوننا بأزمة مصارف. معنى ذلك أن مدخراتنا في خطر. لا نعرف عن هذا الخطر شيئًا. لكن ما نعرفه بالتأكيد أن في الخطر سوء إدارة. سوء إدارة القطاع الخاص (المصارف قطاع خاص) الذي أمضينا سنوات بل عقودًا من السنين نحكي عن كفاءاته وميزاته. القطاع العام، أي الناس كمجتمع، دائمًا مبتذل ورخيص، فاقد الكفاءة، فاقد المعنى. لا لزوم له إلا لخدمة القطاع الخاص وأربابه.

إذن، يحكم البلد هؤلاء الذين هم الأقل كفاءة بين سكانه. وإذا كان البلد مفككًا مشلغًا، بأفضال الطائفية، فمن يحافظ على وحدة البلد؟ إذا كانت وحدة البلد، وجود الدولة، لا تتحقق على يد أبنائها فلا بد أن تكون قوى، أو قوة واحدة خارجية، تفعل ذلك. وهذه القوة الخارجية تعاونها أجهزة مخابرات عدد من الدول الغربية، وهي تملك أكثر من قاعدة عسكرية في لبنان.

السؤال المهم هو: هل ستدعمنا هذه القوة الخارجية، فيما لو حصل انهيار داخلي يؤدي الى انفجار الميرة اللبنانية، لا سمح الله؟ أو أن الشعب اللبناني، هؤلاء العامة المبتذلين، لا يعنون شيئًا للسادة الخارجيين كما لا يعنون شيئًا للسادة الداخلين؟

لن نكون غزاة أو ضفة

يبقى أمر حزب الله. هو القوة الكبرى الداخلية في لبنان. لديه أسلحة كثيرة وجنود خارج اطار الدولة اللبنانية. قانون العقوبات يضعهم خارج الفردوس المصرفي كما

لا يعرف المودعون عن أموالهم

شيئًا بعد أن تودع. يهددوننا بأزمة

مصارف. معنى ذلك أن مدخراتنا

في خطر

في خطر

ويعرف الأميركيون أن الجنوبيين ومعظم اللبنانيين لا يريدون أن يكونوا غزاة أخرى، ناهيك بضفة غريبة أخرى. ويعرف الأميركيون أن كل ما في الأمر ليس صفقة تعقد بين من يعتقدون أن بيدهم الأمر؛ ومن بيدهم الأمر يقتلون هنا الجنرال الاسرائيلي الذي وقّع أوسلو، وهناك الرئيس المصري الذي وقّع كامب دافيد، وأن الرئيس الأميركي كينيدي اغتيل لأسباب تتعلق بإنهاء التمييز في المدارس (ليس لإنهاء العنصرية التي يفترض أنها انتهت مع إنهاء الرق قبل 100 عام في أيام لينكولن)؛ ويعرف الأميركيون أن حزازات النفوس تبقى كما هي، وأن صفقة القرن أو القرون لا تتهي المسألة ولا تحسم مجرى التاريخ. لا يعرفون أن التاريخ يتلاعب بنا، ويستحيل علينا التلاعب به.

التباسات التاريخ يريد رئيس أميركي أرعن حلها بصفقة كما لو كان الأمر يتعلق بمقابلة حول بناية في مانهاتن أو غيرها؛ أو ربما تعود على حقول الغولف الملساء. يأتي موظف من وزارة الخزانة الأميركية، اسمه يستعصي على اللفظ (وعلى كل حال هم لم يلغظوا في أي يوم من الأيام اسم إيران أو

العراق أو العرب بشكل صحيح)، ويعطي الأوامر في لبنان يمنة ويسرة، وكأنه متأكد بأننا لا نستطيع العيش من دون مصارف، ومن دون حسابات مصرفية، ومن دون بطاقات ائتمان. ربما كان الأمر كذلك، لكننا حديثو العهد بذلك ويمكننا العيش من دونه.

يفرضون علينا ما لا يمكن القبول به. ما لا يمكننا الرضوخ له؛ أن نتخلى عن سيادة لبنان كما جرى التخلي عن سيادة فلسطين. لا نستطيع التخلي عن هذا وذاك. فلتكن في فلسطين أكثرية يهودية لكنها ستبقى في وعينا فلسطين، ولتكن في لبنان أكثرية من طائفة من توافه طوائف لبنان، لكن البلد سيبقى في وعينا.

يعلمنا التاريخ أننا إذا تخلينا عن شبر من الأرض العربية، سوف نتخلى عن العروبة. هذه العروبة التي ما أردناها إلا أن تكون هويتنا. واقع الأمر أننا لا نعرف تحديد هويتنا، ولا نريد ذلك. نعرف فقط أننا رمز الشعوب المسحوقة في العالم بسبب هذه العروبة التي لا نستطيع تحديدها. وهي عاصية على التحديد. لكنها قابعة في قلب كل منا بالتأكيد. لا يعرف

الأميركي ذلك ويريد صفقة، عقدًا بالتراضي، بين قطعة أرض تحتلها الصهيونية، وما في قلوبنا وأفئدتنا، وما نشأنا عليه، وما نريد أن ينشأ عليه أبناءنا.

عود على بدء

لكن القضايا الأساسية في أذهان اللبنانيين (والعرب) لا تتعلق بالسلطة وسياساتها، ولا تتعلق بحقيقة من يحكم لبنان. أموال اللبنانيين (الكبيرة التي لم تهزّب الى الخارج) وأموال الطبقة الوسطى (دون العليا) والطبقات الفقيرة (لمن معه القليل من المال الذي يحول شهريا ويصرف شهريا) هي في المصارف. للمودعين حق الرقبة وللمصارف حق الاستثمار. أين وكيف يتم التصرف بهذه الأموال؟ المودع العادي لا يعرف شيئًا. هو أصغر من أن يعرف. بالتالي، فإن المصارف تتصرف بأموال اللبنانيين (وأموال الحكومة الى حد ما). فالمصارف هي من يملك أموال اللبنانيين، وهي من يتصرف بها. والمصارف هي من



أبو صبحي التيناوي - سوريا

تملك لبنان. هي التي تحكم لبنان. وما نسمع عن صعوبات في وجه التحويلات، أو ما يُسمى نقص سيولة الدولار هو في حقيقة الأمر حاجز يوضع في وجه اللبنانيين كي لا يعرفوا كيف يتم التصرف بأموالهم. في أيام الوفرة (أي كثرة التحويلات من الخارج)، كنا نسمع عن حرية الصرف والتحويل، أي عن حرية المودعين في التصرف بأموالهم. لم يعد الأمر كذلك. أموال اللبنانيين مرتهنة لمن يحكم لبنان. والذين يحكمون لبنان هم الذين يتصرفون بأموال اللبنانيين. هم المصارف.

هذا التصرف بأموال اللبنانيين لا علاقة له باتجاهاتهم السياسية أو ما يسمى الرأي العام؛ بالأحرى لا علاقة له بقضايا يعتبرها اللبنانيون أساسًا في رؤاهم السياسية. قانون العقوبات المفروض على اللبنانيين أصلًا، يفرض كيف تتصرف المصارف بأموال اللبنانيين. وضع شروط على المصرف هو وضع شروط على المودع. هو وضع شروط على كيفية التصرف بأموال اللبنانيين. على المصارف أن تطيع العقوبات وإلا تفقد منافذها الدولية. أموال اللبنانيين (خاصة الطبقة الوسطى وما دون، وخاصة أن أصحاب الرساميل الكبرى هربوا أموالهم من لبنان) مودعة

أموال اللبنانيين مرتهنة لمن يحكم

لبنان. والذين يحكمون لبنان هم

الذين يتصرفون بأموال اللبنانيين

في صناديق البنوك التي لا تستطيع التحرك إلا بناء على تعليمات القوة الكبرى.

مصارف لبنان تتحكم بأموال اللبنانيين. هي تحكم لبنان. وهي تخضع لحكم مثبت من الخارج. بقي للبنانيين، حتى إشعار آخر حرية الكلام، لكن حرية التصرف بأموالهم سلبت منهم.

تعني العقوبات أن يخضع المعينون بالأمر لنظام أمني. ما هو الفرق بين الاستخبارات الأمنية والاستخبارات السياسية؟ ربما لا نعرف الجواب الآن. لكن قانون العقوبات الأميركي مدعوم بقواعد أميركية متعددة في لبنان. وهذه القواعد تساعدها أجهزة استخبارات أميركية، وأجهزة من قوى دولية أخرى. قانون سرية المصارف الساري المفعول صار في خبر كان. أجهزة الاستخبارات تنقصى وتعرف أموال اللبنانيين أو ما تبقى منها، وتعرف كيف تُنقق. وسيأتي يوم يقرر فيه من الخارج كيف تُنقق.

رسالة رئيس الجمهورية الى مجلس النواب.. ومعضلة تفسير الدستور

د. بهيج طباره



ضياء العزاوي - العراق

بتاريخ 31/7/2019 وجّه رئيس الجمهورية العماد ميشال عون، عملاً بالفقرة العاشرة من المادة 53 من الدستور، رسالة الى مجلس النواب بواسطة رئيسه الاستاذ نبيه بري.

ان ارتدادات هذه الرسالة، السياسية والدستورية، وتداعياتها ما زالت تتفاعل حتى اليوم. وهي مدعوة الى مزيد من الجدل مع اقتراب الموعد الذي حدده رئيس المجلس لمناقشتها - أي في 17 تشرين الاول/اكتوبر القادم.

ان حق رئيس الجمهورية بمخاطبة مجلس النواب بتوجيه رسائل اليه لم يكن ملحوظاً في الدستور اللبناني قبل تعديله عام 1990 وفقاً لوثيقة الوفاق الوطني (اتفاق الطائف).

إلا ان ذلك لم يمنع رؤساء الجمهورية، قبل اتفاق الطائف، من التوجه الى اللبنانيين مباشرة بخطب ورسائل لتحديد موقفهم من الأحداث الجارية. يعرض الشيخ بشارة الخوري، أول رئيس للجمهورية بعد الاستقلال اللبناني في العام 1943، في مذكراته للجولات التي قام بها في مختلف المناطق اللبنانية والكلمات التي توجه بها الى اللبنانيين في كل محطة من المحطات التي كان يتوقف عندها الموكب الرئاسي. ويروي حضوره الى مجلس النواب بمناسبة الاعلان عن جلاء الجيوش الاجنبية عن لبنان عام 1945 وكيفية استقباله والترحيب به. وقد درج الرؤساء الذين تعاقبوا قبل الطائف على التوجه الى اللبنانيين بمناسبة الأعياد الوطنية أو الدينية.

أما بعد تعديل الدستور عام 1990، فقد مارس كل رؤساء الجمهورية صلاحية توجيه الرسائل الى مجلس النواب في ظروف مختلفة: الرئيس الياس الهراوي عام 1998 للمطلب من مجلس النواب تأليف الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية السياسية؛ الرئيس اميل لحود عام 2005 لوضع قانون جديد للإنتخابات؛ والرئيس ميشال سليمان عام 2014 لطلب انتخاب خلف له ضمن المهلة الدستورية. لماذا اذن كل الضجة التي أثارها الرسالة الاخيرة التي وجهها الرئيس ميشال عون إلى مجلس النواب؟

منذ أكثر من قرن كامل، كتب العلامة الدستوري أوجين بيار: "ليس ثمة معضلة استوقفت علماء القانون ورجال السياسة أكثر من تنظيم العلاقة بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية على نحو لا ينزع من الأولى قوتها ومن الثانية استقلالها".

ذلك ان مبدأ الفصل بين السلطات الدستورية الثلاث، التشريعية والإجرائية والقضائية، يفترض، بما يشبه الوهم أو التخيل، ان كل واحدة منها تجهل وجود الأخرى وما يصدر عنها من أعمال، وذلك حرصاً على استقلالية كل منها، وتجنباً للخلاف فيما بينها. وقد عبّر الدستور

اللبناني عن ذلك في مقدمته بأن:

"النظام قائم على مبدأ الفصل بين السلطات وتوازنها وتعاونها".

ان توجيه الرسائل هو احدى وسائل التواصل والتخاطب بين رئيس البلاد ومجلس النواب.

ان دساتير بعض الدول، كالولايات المتحدة وسويسرا، تلزم الرئيس بأن يطلع مجلس النواب من حين الى آخر، وعلى الأقل مرة في السنة، على حال البلد، مع اقتراح التدابير التي يرى اتخاذها لمعالجة الأوضاع، سواء في الداخل ام في الخارج.

ان الدستور اللبناني لم يتعرض الى مضمون الرسائل التي يحق لرئيس الجمهورية، عند الضرورة، توجيهها الى مجلس النواب. إلا ان نظام المجلس، بعد تعديله عام 1999، لحظ الاجراءات الواجب مراعاتها في مثل هذه الحالة، فصص على ان يدعو رئيس مجلس النواب المجلس للانعقاد خلال ثلاثة أيام لمناقشة مضمون الرسالة واتخاذ الموقف أو الاجراء او القرار المناسب. لماذا اذن لم تراع هذه الأحكام في القضية الحاضرة، بل ان الرئيس بري عيّن موعداً لتلاوة الرسالة ومناقشتها في 17 تشرين الاول/اكتوبر، أي بعد اكثر من ثلاثة أشهر على توجيهها؟

لا شك بأن مضمون الرسالة، أي طلب تفسير المادة 95 من الدستور، قد لعب دوراً أساسياً في هذه الطريقة من التعامل مع الرسالة الرئاسية، إذ اعتبر رئيس المجلس

ان تفسير الدستور هو بمثابة تعديل له، وان تعديل الدستور، بناء على طلب مجلس النواب، يتم خلال أحد العقدين العاديين اللذين يحق للمجلس الاجتماع خلالهما، تحت طائلة بطلان الإجتماع (المادة 31 من الدستور). وفي الحالة الحاضرة، فإن العقد العادي يبدأ في 15 تشرين الاول/اكتوبر.

ان المرجح الذي يعود له حق تفسير الدستور كان موضع خلاف في لبنان بعد ان تقرر في الطائف اعتباره جزءاً من صلاحيات المجلس الدستوري.

فمن العودة الى محضر جلسة مجلس النواب في 21 آب/اغسطس 1990 التي جرت خلالها مناقشة انشاء المجلس الدستوري، يتبين ان النقاش دار بين النواب حول ما إذا كان ينبغي اعطاء المجلس الدستوري العتيد صلاحية تفسير الدستور.

وكان هناك شبه إجماع بين النواب الذين طلبوا الكلام ان حق تفسير الدستور يعود للمجلس النيابي وحده، ولا يجوز له ان يتنازل عن هذا الحق لصالح أي مرجع آخر.

اقتطف من محضر الجلسة:

"وزير البريد والاتصالات (جورج سعادة): (نحن) بصدد تالفي اخطاء ربما تكون قد وقعنا فيها.. ان المجلس الدستوري لا يحق له تفسير الدساتير، انما المجلس النيابي وحده له هذه الصلاحية.

رشيد الصلح: امر تفسير (الدستور) للمجلس النيابي وحده فقط، لأنه السلطة التشريعية الاولى والاخيرة في

لماذا اذن لم تراع هذه الأحكام

في القضية الحاضرة، بل ان

الرئيس بري عيّن موعداً لتلاوة

الرسالة ومناقشتها في 17 تشرين

الاول/اكتوبر، أي بعد أكثر من

ثلاثة أشهر على توجيهها؟

لبنان.

بطرس حرب: ان المجلس النيابي هو المؤسسة الصالحة لتفسير الدستور، لأنه في معظم الاحيان عندما نلجأ الى تفسير الدستور تعطله او نغيره او نعدله. فعلى الاقل يبقى ذلك ضماناً للشعب يجب ان تنحصر صلاحية تفسير الدستور بالمجلس النيابي. نصري المغلوف: مجلس النواب بقي له الحق بتفسير الدستور. وللمجلس الدستوري حق مراقبة حسن تفسيرنا للدستور.

زاهر الخطيب: لا يمكننا ان نترك المجلس الدستوري يقتنص دورنا واني اوافق جميع الذين اقترحوا حذف عبارة لتفسير الدستور".

ولكن، هل يعني ذلك انه يمتنع على المجلس الدستوري، بالمطلق، تفسير الدستور؟ ان الجواب هو بالنفي، قطعاً.

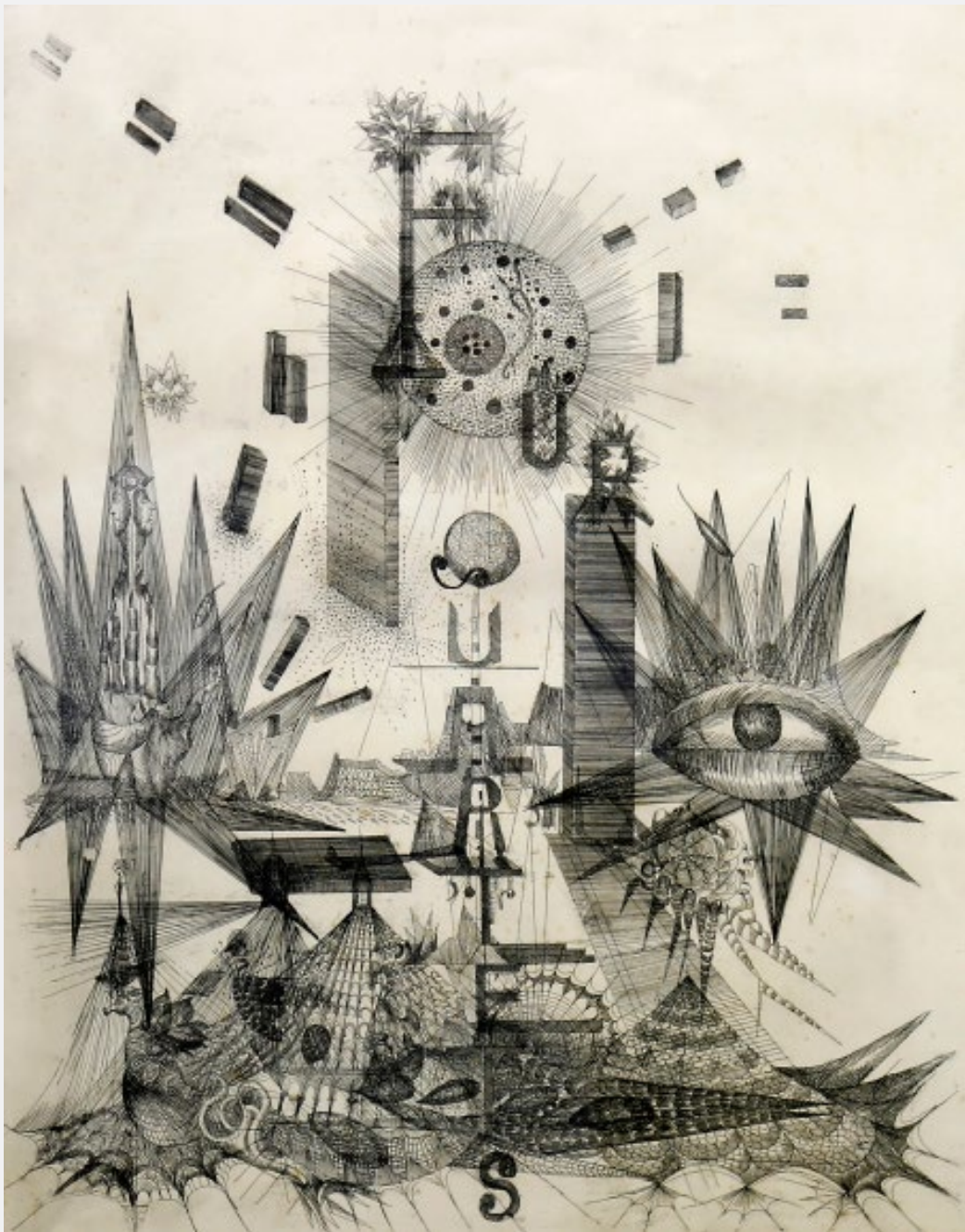
ذلك انه عندما يُطلب من المجلس الدستوري مراقبة مدى انطباق قانون معين على أحكام الدستور، فإنه يعتمد، في الكثير من الأحيان، الى تفسير النص الدستوري المُدعى مخالفته، دون ان يستأخر النظر في القضية بانتظار صدور التفسير عن مجلس النواب.

مثله في ذلك مثل القاضي العدلي عندما يُعرض عليه نزاع بين فريقين يدور حول تفسير نص قانوني غامض او ملتبس، فإنه يعتمد الى تفسيره. بل ان القانون جدير بالذكر، نظراً لأهمية ذلك في القضية التي نحن في هذه الحال ملزماً للجميع ويسري على كل القضايا المماثلة دون تفريق او تمييز.

جدير بالذكر، نظراً لأهمية ذلك في القضية التي نحن بصددها، انه لم يحدث ان مارس مجلس النواب في لبنان صلاحية تفسير الدستور عن طريق اتباع أصول تعديل الدستور، لا بعد تأكيد المجلس على صلاحيته المحاكمات المدنية).

إلا ان التفسير، في الحالتين المذكورتين، يقتصر

مفعوله على القضية المعروضة فقط، ولا يصح قاعدة تسري على باقي القضايا المماثلة. إذ يبقى لقاضي آخر ان يعطي القانون، في قضية أخرى، تفسيراً



جوانا ساروفيم - فلسطين

مختلفاً. بل انه قد يحصل ان يعيد القاضي ذاته النظر في موقفه ويعطي تفسيراً مختلفاً للقانون ذاته في قضية اخرى.

وهنا يكمن الفرق بين هذا النوع من التفسير وبين تعديل بعض مواد الدستور من قبل مجلس النواب وفقاً لأصول تعديل الدستور من اجل تفسيرها أو ازالة ما يكتنفها من غموض أو التباس، إذ يصح التعديل في هذه الحال ملزماً للجميع ويسري على كل القضايا المماثلة دون تفريق او تمييز.

حضور ثلثي اعضاء المجلس على الاقل من اجل امكان عقد الجلسة والشروع في الاقتراع". وفي 8 ايار/مايو 1976، في ظل أجواء حرب حقيقية، توافد النواب تحت وابل من الرصاص والقذائف، الى المبنى المؤقت لمجلس النواب في قصر منصور قرب المتحف، ولم تفتتح الجلسة إلا عندما بلغ عدد النواب 67، بعد انتظار دام حوالي الساعتين.

وفي العام 1980 طرح موضوع النصاب مرة أخرى

بمناسبة انتخاب الشيخ بشير الجميل رئيسًا للجمهورية وعما إذا كان احتساب الأصوات يقتصر على الأحياء فقط من النواب. ففي جلسته المنعقدة في 29 أيار/مايو 1980 صوّت المجلس على قرار يقضي بأن: "عبارة" الغالبية المطلقة من مجموع الأعضاء الذين يؤلفون المجلس قانونًا "تعني الغالبية محسوبة على اساس عدد النواب الأحياء، حاضرين أو متغييبين، دون المتوفين".

وقد أكد هذا القرار مكتب المجلس ولجنة الادارة والعدل والنظام الداخلي في جلستهم المشتركة في 16 آب/ اغسطس 1982.

وبما ان ستة نواب من أصل تسعة وتسعين كانوا قد توفوا فإن اكثرية الثلثين المطلوبة لإنعقاد جلسة الانتخاب كانت تفترض حضور 62 نائبًا.

وقد تمشى مجلس النواب على هذا التفسير إذ ان جلسة الانتخاب لم تنعقد في اليوم المعين للإنتخاب، أي في 22 آب/اغسطس 1982، إلا بعد اكتمال نصاب الثلثين بحضور 62 نائبًا.

في السابع عشر من شهر تشرين الأول/اكتوبر الجاري، سوف تُثلى رسالة رئيس الجمهورية في مجلس النواب تمهيدًا لمناقشتها واتخاذ المجلس "الموقف او الاجراء او القرار المناسب".

يصعب التكهن منذ الآن عن موقف المجلس من الرسالة في ظل صمت الكتل النيابية وعدم صدور أي تعليق منها على الرسالة.

هل سوف يتجنب المجلس الدخول في تفاصيل مضمون الرسالة نظرًا لحساسية الموضوع المطروح بحجة ان تفسير الدستور هو بمثابة تعديل له، وان اصول تعديل الدستور لم ترأ؟

أم ان المجلس سوف يعمد الى تفسير المادة 95 من الدستور وفقًا لرأي رئيس الجمهورية ام على نحو مختلف؟

ان رسالة الرئيس هي في ظاهرها طلب تفسير لمادة من مواد الدستور، إلا انه يتضح من تدقيق مضمون الرسالة بأنها تبني تفسيرًا معيّنًا للمادة 95 وتقدم الحجج تدليلاً

أو، وهذا هو الأهم الذي يعني بالمباشر مجلسكم الكريم، لجهة مناهضة نتائج المباريات "مقتضيات الوفاق الوطني" التي يجب مراعاتها تمامًا في معرض إلغاء التمثيل الطائفي واعتماد الاختصاص والكفاءة في الوظائف العامة على ما أتى ذكره في موضوع هذه الرسالة، ما يقتضي معه من مجلسكم الكريم تفسير محدد لعبارة "مقتضيات الوفاق الوطني"، الواردة في المادة 95 من الدستور، معطوفةً على الفقرة "بي" من مقدمته، لاسيما في ضوء آثارها على الوظيفة العامة في ما يعني موضوع رسالتنا هذه، وبما أن المادة 95 من الدستور تلحظ "خطة مرحلية" تؤدي إلى إلغاء الطائفية – حيث لا يقتصر الإلغاء على الطائفية السياسية – في ضوء صراحة النص، كما تلحظ "مرحلة انتقالية"، الملتقى خلالها قاعدة التمثيل الطائفي بحيث يعتمد الاختصاص والكفاءة في الوظائف العامة "وفقًا لمقتضيات الوفاق الوطني" باستثناء وظائف الفئة الأولى أو ما يعادلها حيث تكون مناصفةً بين المسيحيين والمسلمين، ما يقتضي معه تحديد هذه المرحلة الانتقالية من حيث حلولها من عدمه في ضوء انقضاء أي إجراء لوضع "الخطة المرحلية" أو لتشكيل الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية، ما يعني بالمبدأ أن هذه المرحلة الانتقالية لم تبدأ بعد،

وبما أن المادة 95 من الدستور، معطوفة على الفقرة "بي" من مقدمته التي تنص على أن "لا شرعية لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك"، إنما هي مادة ميثاقية بامتياز ومستقرة من وثيقة الوفاق الوطني تحت فصل "12-الإصلاحات السياسية" والبند "ز" منه المعنون "إلغاء الطائفية السياسية"، حيث اعتبرت الوثيقة أن هذا الإلغاء هو هدف وطني أساس يقتضي العمل على تحقيقه وفق خطة مرحلية،

وبما أن مقدّمة الدستور مستقاة حرفيًا من استهلالية وثيقة الوفاق الوطني المعنوية "المبادئ العامة والإصلاحات"، وهي سلسلة المبادئ التي يرتكز عليها نظامنا السياسي، وبما أن هذه المبادئ والنصوص الميثاقية هي مركز وفاقنا الوطني وقد أصبحت دستورًا بالتعديل الدستوري الصادر بتاريخ 21/9/1990،

على صحة هذا التفسير وذلك، كما جاء في الرسالة، حفاظًا على الميثاق والوفاق الوطني والعيش المشترك التي تشكل مرتكزات كيانية لوجود لبنان.

ويضيف الرئيس في رسالته العبارة التالية: "مع حفظ حقنا وواجبنا الدستوريين من موقعنا ودورنا وقسمنا يتخذ التدبير الذي نراه متوافقًا والدستور في المسائل التي أترنا في رسالتنا هذه".

(*) وزير لبناني سابق

نص رسالة رئيس الجمهورية إلى مجلس النواب

وبما أن مقدّمة دستورنا تنص صراحةً في الفقرة "هـ" على أن "النظام قائم على مبدأ الفصل بين السلطات وتوازنها وتعاونها"، وقد اناط الدستور السلطة التشريعية بهيئة واحدة هي مجلس النواب، والسلطة التنفيذية بمجلس الوزراء، وجعل رئيس الجمهورية مؤتمناً على الدستور وقوانين الأمة اللبنانية، انتمائاً وجويّاً وتحت القسم، لاسيما إجرائياً في المساحة المتروكة لتقديره واستنابه في مسار المرسوم العادي الذي لا يمكن اللتفاف عليه أو اختزال دائرته أو اختصارها تحت أي مسعى، كما هي الحال عند إنشاء الحقوق والأوضاع القانونية في الوظائف العامة في الفئات ما دون الفئة الأولى، تلك الوظائف المعنية المقطع الأخير من المادة الثمانين من القانون رقم 144 تاريخ 31/7/2019 (الموازنة العامة والموازنات الملحقة لعام 2019)،

وبما أن ما يؤيد كل ما سبق أنه حصل نقاش مستفيض بين المكونات السياسية حول الخلل الميثاقية في اعتماد نتائج المباريات التي تضمنتها المادة الثمانون المذكورة من قانون موازنة عام 2019 وابتكرت حلولا – أو كانت في طور الابتكار – لتفادي هذا الخلل، قبل تدخّل المشتري على النحو المذكور، فضلاً عن اللغط الذي حصل عند اقرار المادة المذكورة، وبما ان مشاريع المراسيم المعنية لم تصدر بسبب الخلل المذكور الذي شابها بشكل فاضح،

من هذه المنطلقات جميعها، نتوجه إليكم، دولة الرئيس، بهذه الرسالة لمناقشتها في مجلس النواب الكريم وفقاً للأصول واتخاذ الموقف أو الإجراء أو القرار بشأنها، ما يستدعي تفسير الدستور وتحديداً المادة 95 منه معطوفة على الفقرة "بي" من مقدمته، وفقاً لقواعد التفسير الدستوري، وذلك حفاظاً على ميثاقنا ووقافتنا الوطني وعيشنا المشترك، وهي مرتكزات كيانية لوجود لبنان وتسمو فوق كل اعتبار، مع حفظ حقنا وواجبنا الدستوريين من موقعنا ودورنا وقسمنا، باتخاذ التدبير الذي نراه متوافقًا والدستور في المسائل التي أترنا في رسالتنا هذه، علّ تفسير مجلسكم الكريم يساهم في الإضاءة الوافية لنا ولأي سلطة دستورية معنية بالمسائل المذكورة".

مصطفى اللباد، عن "حدائق" لم تنته

علي هاشم



والعنوان، زيارة "حدائق الأحزان" كتاب مصطفى اللباد الوحيد عن إيران، على حد معرفتي، وهو كان محاولة للإجابة عن أسئلة متداولة حول نظرية ولاية الفقيه وتطورها وظروف وضعها ولاحقا تطبيقها بعد الثورة الإيرانية، فتعديلهما، وأين إيران الدولة منها وأينها من مستقبل إيران؟

كيف تكتب عن نظرية بكل ما يعنيه ذلك من جمود في المفردات وغياب صور التعبير، وكيف تزينها بصور من تجربتك في هذا البلد وانطباعاتك التي لا تغادر طراوة أرض لم يمض الكثير على زرعها وريها، وكيف تُضمّن في كتابك قشعريرة تصيب من يقرأه ويعرف عن إيران، ولا يقول إنه يعرف إيران، فهذا علم المستحيل.

في مقدمة "حدائق الأحزان"، كتب مصطفى اللباد "أطلب من القارئ غفرانه، على تقصير الكتاب عن بلوغ الأرب، وهو أمر واقع بالضرورة بالنظر إلى ما سبق. ولما وقع ما هو واقع ولم يكن له دافع، كان صعباً، إن لم يكن مستحيلاً، أن يطوي المرء فصول الكتاب محتفظاً بأحكامه الأولية، وهو ممسك بزمام الكشف عن المعاني، وملم في الوقت ذاته، بكل ما استغلق من أفكار. فألى علوم إيران الغيبية وراثتها العرفاني ووجدانها الشرقي أتقرب.. وإليها جميعاً أعتذر."

كتب مصطفى اللباد عن بلد لا تكفي قراءة الكتب وحدها عنه لفهمه. بلد بروح متمردة وسط بركان هادئ لا يتوقف عن الغليان. هذه الروح حاول لمسها مصطفى اللباد، وكرر المحاولات في زيارات عدة أخذته إلى إيران، ومن خلال مقالات ودراسات لا يمكن حصرها، وكان بدأ يأخذ مكانه الطبيعي على سلم أهم الكتاب العرب الذين كتبوا عن إيران، إلا أن العمر لم يسعفه، ومساحته الأولى "السفير" خذلته، والوقت كان ضيقاً ليخدم فكراً حتى النهاية تلك "الأحلام التي استعصت والمعاني التي استغلقت"، وليكمل رحلته في "الجغرافيا في مقام راس، والتاريخ في مقام نهاوند".

تسنى لي أن أتحدث مع مصطفى اللباد قبل أشهر قليلة عبر "المانجر" (فايسبوك)، فأخبرته عن أولئك الذين سألوني عنه في طهران، فأجابني "أكيد اسم المحل خورشيد خانم، أنا زبون هذا المتجر".

تحدثنا عن إيران قليلاً، ثم أخبرني أنه سيكون في بداية أيار/مايو 2019 في بيروت، وسألني "هل يعقل ان بيروت لا يوجد فيها مطعم إيراني"، فأخبرته عن واحد سمعت به واتفقنا على اللقاء، لكن قبل أن نتوقف عن الكلام قال لي، "إنت ابن خالة زميلنا علي (شقيري)، سأبلغك عندما أراك واقعة، نصحتك بك لأمر".

رحل مصطفى اللباد في منتصف الطريق، لم يكمل رحلته بين حدائق إيران، ولم يخبرني الواقعة التي وعدني بها.

(*) صحافي لبناني يعمل في محطة "بي بي سي"

سبب اهتمام تاجر التحف والتذكارات الإيراني بالصحافة العربية وجماعتها، لكن زوجته فاجتني بالسلام والسؤال بالعربية أيضاً قائلة "ما أخبار مصطفى، منذ مدة لم نره هل هو في القاهرة أم في بيروت".

ذهب عقلي مباشرة إلى مصطفى اللباد، لذا حاولت فقط تأكيد ذلك بذكر إسمه كاملاً، كي لا تكون تقصد أحداً ثانياً وأنا في الوادي المقابل لها، فأجابني زوجها "نعم هو، طالما أنك صحفي عربي، فانت تعرف مصطفى اللباد، كيف هو؟ ما أخباره؟ لماذا لا يزور إيران؟"

لم أكن أعرف مصطفى اللباد عن قرب. لم التقه يوماً، لكن بحكم اهتمامنا المشترك بإيران وكتابتنا معا في صحيفة "السفير" البيروتية العريقة (توقفت عن الصدور في الثالث من كانون الثاني/ يناير 2017)،

لم يكن غريباً عني، وكنت أعرفه أكثر مما يعرفني، إذ أنني في مرات عدة، وبشكل متكرر، ذهبت معه في رحلة استثنائية سيرت أغواراً فكرية وتاريخية وحملت محطات من تجربته، وكانت تلك الرحلة محددة الهدف

وقفت أمام السفارة الأميركية السابقة في شارع طالقاني في طهران، ورحت أتأمل واجهة متجر يبيع كل ما يمكن تخيله من مصنوعات يدوية إيرانية، من سجاد وكليم (بساط)، وضحون سيراميك مشغولة بعناية وحقائب ومحافظ ملونة.. لسبب ما، قررت الدخول إلى المتجر، برغم إدراكي أن سعر أي شيء هنا سيكون مضاعفاً، بل وفي ظل ظروف انهيار العملة التي كانت تشهدا إيران، في ذلك الوقت (شباط 2018)، فأنا من اللباد، كيف هو؟ ما أخباره؟ لماذا لا يزور إيران؟

استقبلني رجل سنيي وبدأت أتنقل بين رفوف المتجر في جولة إستناس، فأعجاب، وأخيراً اشتريت ما أردت. كان قد اكتشف بطبيعة الحال أنني عربي الهوية ولما بدأنا جولة المفاوضات حول مشترياتي عاجلني بسؤال بلغة عربية مكسرة "ماذا تعمل؟" أجبتة فوراً "صحفي"، نظر إليّ طويلاً ثم صرخ لزوجته باسمها الذي لا أذكره، "لدينا صديق لمصطفى هنا، صحفي عربي، تعالي!".

للهولة الأولى، لم اعرف من هو مصطفى المقصود، ولا

لا شيء يناقض التطور العلمي الهائل في مجالات التكنولوجيا والسايرنت، سوى الانكفاء صوب الأديان التي يستخدم رجالها التكنولوجيا لخدمة معتقداتهم وايدولوجياتهم في سبيل القضاء على بعضهم البعض. وإذا استمرت الأمور على نحوها الراهن، فان جزءا لا بأس به من هذا الكون، وفي مقدمه الشرق الأوسط، يتّجه حتما الى دمار هائل بحثا عن جنة مفقودة.

لم تكن القرارات الشرق أوسطية للرئيس الأميركي دونالد ترامب بشأن نقل السفارة الأميركية من تل أبيب الى

١٨٠

الحروب الدينية: بين الولي والحاخام.. معارك تشتعل وكنائسُ تُضيع وجنة مفقودة

سامي كليب



عادل السويي - مصر

القدس، واعتبار القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، وتشريع الاحتلال الإسرائيلي للجولان السوري المحتل وتأييد التهويد وزعزعة "الاونروا" وحق العودة، من قبيل الصدفة أو لمجرد ترسيخ التحالف الأيدي مع إسرائيل، انما هي نتاج لمعتقد ديني أعمق بين الانجيليين الاصوليين (البعض يصفهم بالصهاينة) واليهود المتشددين والسلطات الإسرائيلية المتعاقبة. مفاد هذا الاعتقاد أن عودة السيد المسيح لن تتم دون قيام الهيكل، وأن الهيكل لا يمكن أن يقوم إلا في القدس، وأن القدس لا يمكن أن تكون إلا يهودية.

يتزامن تعاظم دور الانجيليين الأصوليين، مع ثلاث تطورات دينية خطيرة في العالم:

أولها؛ جعل الإسلام مقرونا بالإرهاب في أذهان الكثيرين، وتحميل أتباعه مسؤولية معظم الإرهاب العالمي. صحیح أن مسلمين سلفيين أو مغسولي الدماغ ساهموا في تهقرر صور الإسلام عبر تصرفاتهم

ما يرى فيه الروس أصابع أميركية وما يؤكد مسؤولون ارثوذكسيون في الشرق ومنهم نائب رئيس مجلس النواب والسياسي اللبناني العتيق ايلى الفرزلي بحديثه عن عقول أميركية وصهيونية تريد ضرب الكنيسة الارثوذكسية لحسابات ضد روسيا ولحصر المرجعيات في الشرق بالفاتكيان ومكة تسهيلا لصفقة القرن وغيرها. شكوكُ يتبناها الدبلوماسي الروسي فاتسلاف ماتوزوف بقوله انه بعد انشقاق الكنيسة الارثوذكسية بين اليونان وروسيا نتيجة احداث أوكرانيا، تتعرض الكنيسة الارثوذكسية الروسية الى محاولة لاضاعفها بشكل متعمد وخطير ولأسباب سياسية.

ما تقدم يعني انه مقابل ضرب الإسلام، وتشويه الكنيسة الكاثوليكية، وشق الكنيسة الارثوذكسية، تُصبح النظرية الانجيلية الأصولية المتحالفة مع الأصولية اليهودية، جاهزة لاحتلال المشهد واسكات كل من يعترض على اكمال إسرائيل قضم فلسطين وتهويد الأرض والحجر والتاريخ والجغرافيا.

من هم الانجيليون الاصوليون؟

في خطابه أمام "الاتحاد المسيحي من اجل إسرائيل" (Christians United for Israël)، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو:"ليس لدينا أصدقاء أفضل من المناصرين المسيحيين لإسرائيل، وأنتم انضمامتم الينا لأننا نُمثّل هذا الإرث المشترك للحرية الذي يعود الي آلاف السنين".

لكي نفهم تماما عن أي مناصرة يتحدث نتنياهو، يمكننا أن نقرأ أبرز الخطوات التي قام بها هؤلاء الانجيليون الاصوليون، وذلك في كتاب "الانجيليون الأميركيون، الشرق الأدنى ونهاية العالم" لمؤلفه وسام معكرون والذي نشرته جامعة القديس يوسف اللبنانية. يقول المؤلف معكرون الآتي:

مع إعلان وعد بلفور، رأى الانجيليون المحافظون في الأمر انتصارًا شخصيًا يسرّع رزنامة النبوة للوصول إلى إعلان عودة المسيح ونهاية العالم.

اعتبروا ان قيام دولة إسرائيل هو الحدث الأهم منذ العام 7٥ بعد الميلاد، سنة تدمير الهيكل.

المنظمات الانجيلية الأصولية توسّعت على امتداد الولايات المتحدة وجمعت ملايين الدولارات وصارت مجموعات ضغط كبيرة على الإدارة الأميركية.

ظهرت فعالية الحركة الانجيلية خلال حرب السويس (1956)، حين وجهت انتقادات للرئيس ايزنهاور بعد مطالبته بتراجع الإسرائيليين من سيناء، معتبرة أن طلب ايزنهاور قرار يعارض ما يرسمه الله.

كارل هنري، رئيس تحرير موقع "المسيحية اليوم"، (Christianity today) نظم عام ١97١ مؤتمرا في القدس، شارك فيه 15٥٥ مندوب من 32 بلداً برعاية بن غوريون، وفيه أعلن بداية التحالف الرسمي بينهما. مع وصول الليكود إلى السلطة في إسرائيل عام 1977، تنامت العلاقة بين الانجيليين وإسرائيل وتنامى ضغط اللوبيات على الإدارة الاميركية، وهي عارضت اتفاقيات السلام وكامب دافيد.

دعم إجتياحي العراق ولبنان

تعرف أيضا أن مجموعات الضغط الانجيلية الأصولية التي أقامت لها أكبر سفارة في القدس، هاجمت حرب

١٨٠

الله مرارا ودعمت بشدة اجتياح إسرائيل للبنان في العام 1982 ثم حرب إسرائيل ضد لبنان في العام 20٥6، واشترت صفحات كبيرة للدعاية في الصحف الأميركية نصره لإسرائيل وشجبا لحزب الله وايران وكل من يناهض إسرائيل.

مع جورج دبليو بوش وتعاظم دور المحافظين الجدد، دعم الانجيليون اجتياح العراق "حتى ينتصر الخير" على حد تعبير قادتهم. فهم يعتبرون ان "العالم منقسم بين أختيار وأشرار"، ولا بد للخير (الذي يمثلونه طبعاً) أن ينتصر ويهزم اعداءه في محور الشر.

قبل جورج دبليو بوش بسنوات، كان الرئيس الاميركي السابق رونالد ريغان يقول : "أتمنى أن يكرمني الله بأن أضغط على الزر النووي حتى تقع معركة هرمجدون وأساعد في العودة الثانية للمسيح". كذلك كان الرئيس جيمي كارتر جزءا من هذه الحركة لكنه واجه غضبها حين

ماتوزوف يقول انه بعد انشقاق

الكنيسة الارثوذكسية بين اليونان

وروسيا نتيجة احداث أوكرانيا،

تتعرض الكنيسة الارثوذكسية

الروسية الى محاولة لاضاعفها

بشكل متعمد وخطير ولأسباب

سياسية

نحا صوب السلام.

يتراوح عدد هؤلاء الانجيليين المحافظين ما بين 7٥ و 8٥ مليونا في اميركا. هم يملكون جيشًا من الإعلاميين والصحف والمجلات ومحطات التلفزة، ولهم حضور من خلال مسؤولين مستشارين في البيت الأبيض والبنتاغون ومجلسي النواب والشيوخ، كما في السلك الدبلوماسي الاميركي.

يتمدد الانجيليون السلفيون بقوة صوب اميركا اللاتينية ودول افريقية وأوروبية وعربية. كان من نتاج هذا التمدد، أن رئيس البرازيل جايبير بولسونارو قرر نقل سفارة بلاده أيضا من تل أبيب الى القدس ضاربا بعرض الحائط العلاقات التاريخية لبلاده مع العرب، والدور الكبير الذي لعبه البرازيليون من أصل عربي (خصوصا من أصل سوري ولبناني في نهضة البرازيل).

وتشهد البرازيل المعروفة تاريخيا بانها مع المكسيك

خزان الكاثوليكية عالميا، نشاطا مضطردا للانجيليين الذين يمتلكون أكثر من 14 ألف كنيسة ويتزعمهم الاسقف الملياردير أدير ماسيدو، وهم يتولون من خلال أحد الأساقفة حاليا رئاسة بلدية ساو باولو أي اكبر مدينة في البلاد. وليس أكثر دلالة على الارتباط بإسرائيل من أن الكنيسة الانجيلية شيدت في ساو باولو معبدا مشابها لهيكل سليمان المفترض.

ترامب انجيلي؟

سألث د.غاري بيرج، وهو بروفسور متخصص بعلم اللاهوت يقيم ويدرس في نيويورك، عن سبب تأييد الانجيليين الأصوليين لدونالد ترامب، فقال: "يُمكن أن نقول بسهولة أن أكثر من نصف الإنجيليين بالطبع قد دعموا ترامب وهم يدعمونه بشكل قوٍي. ترامب ماهرٌ بشكلٍ كبير في اكتشاف طائفة ضمن قاعدته الشعبية التي ستتجاوب مع بعض المفاتيح التي قد تُغضبها أو تُريحها. هو وعدهم بخطوات ترضيهم مثل معارضة الإجهاض والدعم الكبير لإسرائيل خصوصا لجهة التزامه الحاسم بنقل السفارة الى القدس. لكن ما يصدمننا على مستوى الطائفة الإنجيلية هو أنّ الإنجيليين كانوا مُستعدين لوضع التزاماتهم الأخلاقية جانبا أمام رجل يُشكّل قرّنا غير أخلاقي بكلّ بساطة، لذلك فانا اعتقد شخصا أنّ دعم الانجيليين لترامب أدّى إلى انتقال الكثير من الإنجيليين إلى مكان مناقض، بحيث ما عادوا يُريدون التماهي مع هذه الحركة".

مستشارون في البيت الأبيض!

يتابع بيرج : "توجد حول ترامب لجنة مُستشارين مُؤلفة من إنجيليين غاية في المُحافظة هنا في الولايات المتحدة الأميركية وهو يُصغي لما يقوله هؤلاء، لكننا نتحدّث عن مجموعة فيها مزيج من الأشخاص. من جهة لدينا بعض الذين ينتمون إلى النظريات الاقتصادية والسياسية المُحافظة والسياسة الخارجية العدائية مع التزامٍ كبير حيال الجيش وكل ذلك يتمحور حول الالتزام الذي يعتبرونه الترامًا مُطلقًا حيال الكتاب المُقدس، ومن جهة أخرى، نرى ترامب يصغي إلي هذه الاندفاعات والأفكار. لا أعتقد أنه يُصغي إليهم لأنهم مُستشارون روجيون بل هم يُمثلون جزءًا من قاعدته السياسية وبالتالي يُصغي لما يقولونه لأنه يريد أن يعرف ما الذي تريد هذه القاعدة أن تسمعه".

ترامب والقدس والانجيليون

قال لي البروفيسور نورتن مرفنسكي رئيس "المجلس الدولي لدراسات الشرق الأوسط" وهو صاحب كتاب "الأصولية اليهودية في إسرائيل الصهيونية المسيحية – الأرض الموعودة" إنّ الرئيس الأميركي اعلن قراره بشأن القدس قبل أيام قليلة جدا من انتخابات ولاية الاباما الفرعية لمجلس الشيوخ . ويضيف "كان ترامب يدعم شخصية متطرفة من المسيحيين الصهاينة، وصادف أن المسيحيين الصهاينة في الولاية نفسها كانوا يدعمون الشخص عينه، لذلك، فان ترامب لم يكن مباليا بالناحية الدينية وانما بتوسيع شعبيته. وفي الفترة نفسها، كان السفير الاميركي في إسرائيل دافيد فريدمان يؤكد ضرورة استبدال عبارة الأراضي المحتلة في الضفة الغربية

بـ"الأراضي المحررة"، وذلك فيما رأينا رجل الأعمال الغري جدا واليهودي المتطرف شيلدون أيدلسون صاحب أكبر الكازينوهات في لاس فيغاس يتبرع بالملايين لحملة ترامب ويقول انه مستعد لتقديم 35 مليون دولار اذا ما نقل ترامب السفارة الى القدس واعتبرها عاصمة ابدية لإسرائيل. أقول ذلك لأؤكد ان ترامب أراد لأسباب سياسية وانتخابية وليس دينية مغازلة الانجيليين الصهاينة واللوبيات المؤيدة لإسرائيل".

انجيليون ضد انجيليين

من حسن حظ الفكر الإنجيلي الصافي، ان كنائس انجيلية كثيرة تعارض هذا الشطط في التفسير الديني وفي الدعم الأعمى لإسرائيل. وحسبًا فعل مثلا محمد

مازنفسكي: ترامب أراد لأسباب

سياسية وانتخابية وليس دينية

مغازلة الانجيليين الصهاينة

واللوبيات المؤيدة لإسرائيل

السماك أمين عام لجنة الحوار الإسلامي المسيحي بتسليطه الضوء على هذا التباين، فشرح أنّ الكنائس المسيحية الكاثوليكية الأرثوذكسية وكثير من الكنائس الإنجيلية، "تقف ضدّ هذه الحركة الصهيونية المسيحية، وأنّ مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي يمثّل كنائس الشرق جميعها كان قد أصدر بيانًا لاهوتيًا مبنيًا على العقيدة المسيحية ضدّ هذه الحركة". وكان لافتا للإنتباه أن بابا الفاتكان، قال خلال الحملة الانتخابية لترامب والتي ساعده فيها الانجيليون الاصوليون مقابل شروط دينية وسياسية وبينها ما يتعلق بفلسطين:"ان الشخص الذي يريد بناء الجدران لا الجسور لا يعد مسيحيا، صوتوا له أم لا، هذا شأنكم أنا لا أتدخل في هذا الامر لكن أقول فقط أنه ليس مسيحيا". لعلّ الحبر الأعظم أراد أن يلفت النظر ولو على نحو غير

مباشر الى خطر هؤلاء الانجيليين الأصليين في دعم سياسات تسيء الى المسيح وأرضه.

الدين لاحتلال العراق وتدمير سوريا

يوما بعد آخر، يبرز عامل الدين في احتلال العراق وتفكيك المنظومة العلمانية البعثية من بغداد الى دمشق. فجورج بوش الابن الذي انتقل من حياة العريدة والمجون

19١7 وهو يدعو الجيوش الاسترالية والبريطانية للزحف الى القدس وسحق المسلمين. وقد أحاط بوش نفسه بمستشارين من الانجيليين الصهاينة الذين سرعان ما تبين انهم أبرز صقور الحروب ضد العرب والمسلمين.

في كتابه بعنوان "حروب سورية"، يعود السفير الفرنسي السابق ميشال ريمبو الى أصل استراتيجية ربط الأفكار التبشيرية والدين برغبات الهيمنة السياسية والعسكرية، فيعود الى خطاب ألبرت بيفيريدج المقرب

رئيسا لإسرائيل قال في خطابه أمام مؤتمر فرساي في العام 19١9:"ان التوراة شرّعتنا"، وهذا ما كرسه الحاخام الأكبر لفلسطين في العام 1948 بقوله "لا أحد يمكنه المساس بدولتنا التي كرسها الحق الإلهي". يؤكّد السفير الفرنسي السابق "أن هذه الشعارات هي نفسها التي تبناها المسيحيون الصهاينة" لاحقا.

لعل كبار المنظرين الغربيين وفي مقدمهم أرنولد توينبي ورنارد لويس وصموئيل هانتغنون، عكسوا في مؤلفاتهم جزءا كبيرا من هذه النظرة الغربية الى مستقبل



حسن جوني - لبنان

من الرئيس ثيودور روزفلت أمام الكونغرس والذي يقول فيه :"إن الله جعل منا أسيادا مُكَلَّفِين بتنظيم نظام حكومي في العالم حيث تسود الفوضى، وأوحى لنا بفكرة التطور بغية سحق قوى الرجعية على الأرض". يعتبر ريمبو أن هذه الأفكار المؤسسة للاستراتيجيات التوسعية الأميركية هي التي قادت الى دمار العراق وسوريا من منطلق "الخير والشر"، والتي نرى انعكاسا لها في الخطاب الإسرائيلي الذي يركز على فكرة "شعب الله المختار". ويقول:"حاييم وايزمان الذي أصبح لاحقا

الصهاينة دغدغت عقول كثيرين، ولا تزال هذه الأفكار حتى اليوم تجد صدى كبيرا وأكبر من أي وقت مضى من خلال لوبيات مؤيدة لإسرائيل ولِلإنجيليين الأصليين.

الولي الفقيه ضد الحاخام

في خطابه الذي اختتم به مراسم عاشوراء 20١9، ربط الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله ربطا وثيقا لا فكاك منه، بين استراتيجية المقاومة ومحورية الالتزام الديني والولاء المطلق لمرشد الثورة الإسلامية السيد علي خامنئي. قال نصرالله حرقيا : " نحن هنا من لبنان نقول للعالم كله ان إمامنا وقائدنا وسَيِّدنا وعَزِيْزنا وحُسيننا في هذا الزمان هو سماحة آية الله العظمى الإمام السيد علي الحسيني الخامنئي دام ظله وان الجمهورية الإسلامية في ايران هي قلب المحور وهي مركزه الأساسي وهي داعمه الأقوى وهي عنوانه وعنفوانه وقوته وحقيقته وجوهه". تكتسب هذه الصفة الدينية بُعدا عميقا في ذهن نصرالله وأذهان القاعدة الحزبية. حتى لتكاد بعض روايات من قاتل منهم إسرائيل وهزمها في العام 2006 تربط الجزء الأكبر من الانتصار بهذا البعد الديني. ويروي المقاومون حكايات كثيرة عن رؤى في خلال المعركة، وعن صاروخ كوزنيت كان يستهدف دبابة "ميركافا"، فأصاب بالصدفة منزلا اجتمع فيه جنود وضباط إسرائيليون.

وفي كتابه "الولي المُجَدِّد"، يشرح نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ المثقف نعيم قاسم الأفكار التي نقلها عن خامنئي بالنسبة للبعد الايماني في قضية فلسطين. فقرأ له ينقل عن مرشد الثورة قوله الآتي:

* إن قضية فلسطين بالنسبة للجمهورية الإسلامية ليست أمراً تكتيكيًا بل هي أمر بنيوي أساسي ناشئ عن الاعتقاد الإسلامي.

* إن تكليفنا أن نحزر هذا البلد الإسلامي من سلطة وقبضة القوّة الغاصبة وحمايتها الدوليين ونرجعها إلى شعب فلسطين. إن هذا تكليف دينيٍّ وواجبٌ على جميع المسلمين.

* إن قضية فلسطين قضية عقيدية وقضية إنسانية وليست مجرد قطعة أرض، هي ليست قضية سياسية أو قضية نفوذ إقليمي ودولي فهي قضية إيمان واعتقاد وهي ستحزّر وبقيةً ستعود لأهلها..

هذا اليقين الإيماني بتحمر فلسطين يقابله في المعتقدات اليهودية والمسيحية الانجيلية الاصولية قناعة بدمار إسرائيل قبل عودة السيد المسيح. من الصعب فهم هذا الكم الهائل من الضغوط الأميركية والاسرائيلية على ايران، دون متابعة الدوافع الدينية المتجددة من قبل الانجيليين الصهاينة ومعهم عدد لا بأس به من المنظمات واللوبيات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

Christians united for Israel للقس جون هاغي، وهي منظمة ينتمي إليها نحو 20 ألف عضو، وتجمع ملايين الدولارات سنويا.

International fellowship of christians and jews ، stand for Israel،for Israel، تجمع تبرعات للحكومة الإسرائيلية تصل إلى ملايين الدولارات.

الخلاصة:

كل شيء قابل للتسويات الا القناعات الدينية. لعل موجات الإرهاب والتكفير الرهيبة التي اجتاحت المنطقة في السنوات الأخيرة وجلبت معها عقولا مغسولة

من اكثر من 80 دولة، وعقولا أخرى جاهزة تستند الى تقسيرات غريبة ومُضَلَّلة لنصوص اسلامية عريقة، كانت خير شاهد على قسوة ودموية هذه الحروب التي جعلت المسلم يُبْسَل ويُحْمَدل وهو يذبح مُسلما آخر في شرقنا، والبوذي المعروف بتسامحه يذبح المسلم ويهجره ويهدم قراه في بورما، وبوكو حرام وداعش ينهشان أجساد المسلمين والمسيحيين من نيجيريا حتى أدغال افريقيا ومدنها، والمسلم الأيغوري الصيني والأوزبكي والشيشاني يآخون المسلم الاوروبي في مذابح الدم في ما يصفونه بالجهاد الدموي لإقامة الخلافة العتيدة.

الآن ترتسم معالم مشهد متصاعد. محور المقاومة المستند خصوصا الى عمق ديني (شيعي في إيران وعند حزب الله، وشني عند حماس والجهاد)، يواجه جنوحا

الفرزلي يتحدث عن عقول

أميركية وصهيونية تريد

ضرب الكنيسة الارثوذكسية

لحسابات ضد روسيا ولحصر

المرجعيات في الشرق بالفاتكان

ومكة تسهيلا لصفقة القرن

يمينا متطرفا ويهوديا متعصبا لم تشهده إسرائيل حتى في عز أيام عصابات الهاغانا وشطرن. يدعم هذا الجنوح اليميني، أصوليون انجيليون وصهاينة. طالما أن كل طرف يعتبر أن هذه فرصته الدينية والسياسية للانتصار على الآخر، فمن الصعب التفكير بمستقبل سلمي. الفارق الوحيد بين الطرفين، أن ثمة من يستخدم الدين للحفاظ على الأرض والمقدسات الإسلامية والمسيحية في مهد الأديان السماوية، وآخرون يستخدمون الدين لسرقة الأرض وتهويد الحجر والشجر والبشر والتاريخ والجغرافيا. فكيف لا تكون فوق برمبل بارود في هذا الشرق الذي تحوّل الى مهد الحروب ولحد ناسها، بعدما كان مهد الأديان.

الظاهرة الحيرية: الوراثة المستحيلة

عندما سقط رفيق الحريري شهيداً في العام 2005، قال الفضل شلق إنه لن يكون بمقدور أحد أن يرث رفيق الحريري. معنى ذلك، أن الحيرية بنسختها الأولى، إنتهت بموت صاحبها. في هذه الحالة، ما هو مفهوم الحيرية اليوم؟

صال رفيق الحريري وجال محاولاً مأسسة حضوره السياسي، لكن الثابت الوحيد أن الرجل لم يكن يملك مشروعاً أبعد من رئاسة الحكومة، وعندما أقصي عنها في العام 1998، قرر أن يفعل كل ما يوسع للعودة إليها. الرحلة إلى رئاسة الوزارة استلتمت مسيرة صعبة وشاقة. من بساتين الحمضيات في صيدا، إلى غابات وحدائق السياسة في لبنان والعالم العربي، مروا بتجربة مع حركة القوميين العرب، وإنتهى به المطاف، في زمن فهد بن عبد العزيز، أحد أبرز ممثلي القوة السعودية الناعمة في المنطقة.

رحل الحريري الأب وجاء الحريري الابن. رحل خطاب العروبة وحل محله خطاب الكيانية اللبنانية. حسب ابن خلدون، فإن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك. بهذا المعنى، تمكن سعد الحريري، قبل ثلاثة عشر عاماً، من شد عصب "جماعته". اليوم، لم تعد "شرعية الدم"، أي دم رفيق الحريري، كافية لشد عصب جمهور معين. لم يعد الخطاب المذهبي يشكل ممراً الزامياً للحكم. بات بمقدور أي "متمرد" استنماره ضد الحيرية نفسها، بذريعة أنه الممثل الشرعي للحيرية بمعناها الأول.

النقطة الثانية، في هذا السياق، أن لا أحد يملك تفسيراً لحقيقة العلاقة بين سعودية محمد بن سلمان وسعد الحريري. على الأرجح، فإن الحقبة الحيرية في لبنان التي تم التأسيس لها في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، قد إنتهت بمعناها وبعدها السعودي.

هل يعني ذلك أن الحيرية قد إنتهت؟

بلا تردد، يمكن القول أن لا أحد ينافس سعد الحريري، اليوم، في شارع، لكن الرصيد الذي فاز به هذا الرجل قبل 14 عاماً، يكاد يتبدد الجزء الأكبر منه. أقصى طموح رئيس تيار المستقبل، اليوم وغداً، أن يستمر رئيساً للحكومة. هل ما كان يسري على والده يسري عليه وهل يكفي ذلك لإنتعاده نصاب جماعته له؟

إختارت مجلة 180 أن تقارب الحيرية في عددها الثاني، في محاولة لفتح النقاش، حول مستقبل هذه الظاهرة، من خلال مجموعة كتابات تكتفي بالعرض، تاركة للقارئ أن يحلل ويستنتج.



ثقل الإرث الذي لا يحتمل

جهاد بزي

لا أحد يعرف، علناً على الأقل، لماذا ورث سعد الحريري حمل السياسة بدلا من شقيقه البكر بهاء. كل ما نعرفه أن شاباً، في الخامسة والثلاثين سقط على منكبته ما لا طاقة لرجل عادي أن يحمله: جريمة اغتيال هائلة، صنعت هزة أرضية، حرفياً، في بيروت، وهزّت كل ما كنا نظنه ثابتاً لا يتغير. السيطرة السورية. حزب الله. إميل لحود. رستم غزالي. نظام أمّني لبناني متماسك يُرمى بأركانه، لاحقاً، دفعة واحدة في السجن. حالة عالمية من الاهتمام والضغط.. ٨ آذار. ١٤ آذار. إلخ..

الشاب الذي لم نعرف عنه شيئاً قبل الاغتيال، وإلى ما بعد الدفن، وصوت بهاء الآتي من زمن قريب، "يا قوم.. يا قوم" كان مجهولاً تماماً. لا أحد سيذكر الآن متى حكى سعد الحريري للمرة الأولى، لكن الأثر الباقي منه هو لهجته الهجينة بين صيداوية عتيقة، وبين خليجية، وضمنهما الكثير من التلغيم والخجل، لشخص نام إبن رفيق الحريري، بكل ما حمل هذا الاسم، من حجم ومن تاريخ، مذ تسلّم رئاسة الحكومة للمرة الأولى، واستفاق على دم الشخص نفسه، وعلى القنبلة شبه النووية التي رميت على

الأب والشخصية الكبيرة في آن واحد عند كورنيش بيروت البحري، وعلى أسماء تطايرت في مخيلته: بشار الأسد، حسن نصر الله، نبيه بري، وليد جنبلاط، البطريرك صفي، ميشال عون، سمير جعجع، إميل لحود، الخامنئي، الملك عبد الله بن عبد العزيز، جورج بوش، جاك شيراك..

كان يحتاج إلى صف جامعي في مقدمة للسياسة اللبنانية، بديهياتها، ألف باء قذارتها وقسوتها اللتين لا توصفان. لكنه لم يمتلك مثل هذا الترف. زُمي في الواجهة. وعلى الرغم من كثرة الأباء والأمهات الذين أحاطوا به من اللحظة الأولى، كان عليه، وحده أن يتخذ القرار في نهاية المطاف. هذا كله يقع ليس في خانة الإرث، بل في خانة الحظ السعي.

كل هذا الإرث كان شديد الثقل عليه. بدءاً من البدلة العملاقة التي كان يرتديها الأب نفسه، بعلاقاته اللبنانية والسورية والعربية والعالمية، وبما حاكه من نسج سياسي اقتصادي لطموحه ولما يريده لبلده لبنان.

رفيق الحريري، كحالة، كان على درجة هائلة من التعقيد، وإرثه، مضافاً إليه إغتياله، كان أشد تعقيداً

بمراحل. كل هذا زُمي فجأة في حضان شاب غير مجرب. لم يتح له الوقت لأن يتدرج في هذه اللعبة، التي تكاد تكون الأصعب، حيث ممارسة السياسة قد تنتهي بقتل السياسي نفسه. المعجم لا يقرأ دفعة واحدة، لكن هذا ما كان مطلوباً من سعد الحريري. أن يفهم الحلقاء والخصوم والأعداء والمحيطين بوالده، صحافيين ومفكرين واقتصاديين وفيهم الكثير من المنتفعين والانتهازيين، وأن تكون حصته من الورثة، مؤسسات لم تكن تدر ربحاً، بل على العكس، مجرد أوارام تستنزف الثروة في سبيل السياسة. أوارام، كانت السعودية السابقة، دائماً مستعدة لتحمل أعبائها، لكن أي سعودية بعدها لم تعد مهتمة بها. لكن أثقل ما ورثه عن أبيه، هو ما لم يحققه الأب في حياته، توحّد السنة خلفه، الطائفة الأكبر، والتي لم تكن قد توحّدت حول أحد غير سعد الحريري في تاريخها اللبناني قبل اغتيال الحريري، وكيانية لبنانية لا مثيل لها في تاريخ هذا الجمهور.

بكل هذه الأحمال، دخل سعد الحريري إلى السياسة. غير المجزّب، اضطر إلى أن يخوض حربه، بالتجريب الذي يحتمل الكثير من الخطأ. تلغثم مراراً، وعلى الأرجح أنه،

حين جلس، بعد شهور قليلة، إلى طاولة الحوار الشهيرة بينهم، لم يكن يعرف عن لعبة البوكر شيئاً. أتى بنوايا حسنة، بعبارة الأب المثالية، وشعاراته الشعبية. كرر صادقاً ومؤمناً، ما كان الأب يقوله. الفارق هو أن الأب كان يجيد اللعب، الإبن لم يكن حتى مهتماً بالتفرج على المباراة. لكن سعد الحريري، بعد ١٤ سنة، تعلم كثيراً.

تعلم، أول ما تعلم، أن يتواضع. عرف أن لبنان لم ولن ينتج زعيماً أوحّد للبلد كله. هذه استحالة قد تكون من سوء حظ البلد البائس بطوائفه، كما أنها قد تكون، بالنسبة نفسها، من حسن حظه. أثقل ما أورثه رفيق الحريري كانت هذه الفكرة الطموحة عن زعامة عابرة للطوائف. قناعة سعد الحريري بالاستحالة خففت عنه أول وأصعب ثقل. إعمار لبنان، وضعه اقتصادياً في مصاف دولة مثل الإمارات، تهيئته عن صراعات الشرق الأوسط الأبدية، صنع صورته كبطل شبه غربي في الشرق، كل هذه الأوهام التي عجز رفيق الحريري عن تحقيقها، تحرر منها سعد الحريري تباطؤاً.

استبدل سعد الحريري، ببطء لكن بثبات، المثالية بالواقعية. لا أحد في لبنان يُلغي أحداً، ولا سقف للزعامة إلا سقف الطائفة أو جزء منها فقط، والسياسة

اللبنانية سوقٌ، من حضرها باع واشترى. ليس عليه أن يحل مشاكل لبنان العالقة منذ الأزل، أو على الأقل منذ نهاية الحرب. القطاع العام ليس مشكلته. التعليم. الاستشفاء. المواصلات. مياه الشفة. الطاقة. اليد العاملة. حقوق النساء. قانون الأحوال الشخصية. البيديات. أقل البيديات. لماذا يتحمل كل هذا؟ يكفيه فخراً أن الطائفة التي انفضت من حوله، لم تتطرف ولم تتسلح ولم تعلن الحرب على الآخرين. يكفيه فخراً أنه واحد من رؤساء الحكومات، الذين مثلهم مثل رؤساء الجمهورية، لم يصنعوا فارقاً يذكر.

سعد الحريري، بعد سنوات من الإنكار ومن النوايا الحسنة، تواضع وجلس إلى الطاولة، واتقن، كغيره، مهارات اللاعب المحترف في تجميد ملامحه للحفاظ على وجه البوكر. تخفف من كل ذاك الإرث الثقيل. صار سياسياً تقليدياً كما البقية. انضم إلى النادي. إبتسم، إذ اكتشف أنه في لبنان.

الحريري بين الإشتباك والإنتظار.. وأولوية السراي

حسين أيوب

سعد الحريري حظةٌ عاثر. سقط والده، غداة سقوط بغداد، أما هو، فقد وجد نفسه، بلا مقدمات، زعيماً أسيراً للدم، يقاتل بلا بندقية بين متاريس الدول. قرارات أممية ومحكمة دولية. "الثأريون" في الداخل يحاصرونه. الإقليم كله على صفيح ساخن. النظام الدولي والإقليمي يتغير بعد العام 2003. المظلة السورية السعودية المصرية التي حضنت إستقرار لبنان منذ حرب صدام حسين ضد الكويت تسقط. القرار 1559 يمهد لحرب إسرائيلية على لبنان. حروب في العراق وسوريا واليمن. أنظمة تتغير وخرائط تتبدل. أي حظ عاثر جعل الحريري يضيع في وسط جغرافيا تختلط فيها حدود النيران والدماء والإرهاب وإستقطابات الجيوش والمليشيات وقوى الإرهاب. معادلات لا تتحملها دول، فكيف بالأفراد؟

الخامنئي وأزميرالدا وخنجرها

لم يعد مناسباً لسعد الحريري أن يكرر تجربة اللجوء السياسي خارج بلده، كما فعل غداة إقصائه في مطلع العام 2011. ربما إكتشف أن أزميرالدا تستحق تضحية. لا بأس لأزميرالدا أن تتباهى به وبأمثاله الغيارى، طالما أن الكل قد سلم بأن خنجر هذه السيدة كفيلاً بحمايتها، فما هي قصة أزميرالدا وخنجرها، أقله، لمن لم يعرفها من قبل؟

خلال آخر زيارة للموفد الملكي السعودي نزار العلولا، إلى بيروت في شتاء العام الحالي، روى الحريري له وللحاضرين، في مأدبة عشاء في أحد فنادق العاصمة، قصة من وحي رحلته الشهيرة إلى طهران في خريف العام 2010، قبل سقوط حكومته الأولى بشهر تقريباً. في تلك الزيارة، توجه السيد علي خامنئي، باللغة العربية للحريري قائلاً: دولة الرئيس، هل قرأت رواية "أحدب نوتردام" للأديب الفرنسي الشهير فيكتور هوغو؟ فأجاب الحريري بنعم.

إنتهى اللقاء، وجاءت الترجمة بعد حوالي شهر ونيف. كنت في طريقي إلى البيت الأبيض، عندما قرر وزراء فريق 8 آذار تقديم إستقالاتهم من الحكومة في 12 كانون الثاني 2011، قال رئيس حكومة لبنان. ما أن أنهى الحريري روايته، حتى خاطبه وليد جنبلاط متهمكاً على مسمع ومرأى من الحاضرين، وبينهم العلولا: "نعم ومن بعدها، تأمرنا عليك أنا ونجيب ميقاتي".

ورث سعد الحريري صفة ثانية.

صفة أن يتحول مرافق الأمراء إلى

أمير. تجعله مراجعته شبه اليومية

للديوان الملكي، أشبه ما يكون

بملك أو أمير في ديوانه الشخصي

للثقافة".

الجميلة أزميرالدا "كانت تملك خنجراً جميلاً حاد النصل. يده مصنوعة من المحار (أصداف البحر)، ولم يكن يفارقها أينما كانت (تخبئه في فخذه الأيمن)، وكانت تستخدمه كلما أراد أحد النيل منها بسوء في شوارع باريس. إن لبنان هو مثل أزميرالدا تلك المرأة الجميلة. لبنان عروس الشرق الأوسط. هناك الكثير من الذين يسعون للنيل من بلدكم. إن إسرائيل هي الخطر الذي يهددكم. ألم يأتوا إلى شوارع بيروت في العام 1982؟ ألم يقتلوا الناس؟ ألم يدمروا؟ ألم يرتكبوا المجازر؟ إن سلاح المقاومة هو خنجر أزميرالدا، الذي سيهزم عدوكم"، والكلام دائماً للخامنئي. هنا سأل الحريري مُضيفه، "ولكن ماذا إذا جرح هذا السلاح أزميرالدا نفسها، أي لبنان؟"

جنبلاط وميقاتي يتآمران!

إنتهى اللقاء، وجاءت الترجمة بعد حوالي شهر ونيف. كنت في طريقي إلى البيت الأبيض، عندما قرر وزراء فريق 8 آذار تقديم إستقالاتهم من الحكومة في 12 كانون الثاني 2011، قال رئيس حكومة لبنان. ما أن أنهى الحريري روايته، حتى خاطبه وليد جنبلاط متهمكاً على مسمع ومرأى من الحاضرين، وبينهم العلولا: "نعم ومن بعدها، تأمرنا عليك أنا ونجيب ميقاتي".



سببا مانوكان - لبنان

بأولوية صرف إمكانات إيران في الداخل الإيراني بدل الإستثمار في مشروع إقليمي مترامي الأطراف.

السعودية وإيران.. والحريري

لقد سبق وتباهى أكثر من مسؤول إيراني، وعلى رأسهم الرئيس حسن روحاني، بإمسك طهران بقرار أربع عواصم عربية هي بيروت وبغداد ودمشق وصنعاء، وهذا الكلام ينفر ليس خصوم إيران فحسب، بل أقرب الناس إليها من زاوية إحترامهم خيارها برفع راية فلسطين، بعدما تخلت عنها معظم الأنظمة العربية.

ولعل واقعية سعد الحريري السياسية في مرحلة ما بعد عودته إلى السلطة السياسية جعلته يعيد النظر في تعامله مع حزب الله والإيرانيين. أولاً، يراعي الرجل

صحيح أن خامنئي معجب باللغة العربية وبالروايات الفرنسية، وهو ترجم العشرات منها إلى الفارسية، مثل ميشيل زيفاكو وألكسندر دوما الأب والإبن، لكنه أراد القول للحريري أن لبنان يملك من عناصر القوة والجمال، ما يؤهله أن يشكل نموذجاً فريداً من نوعه، وهذه العبارات لطالما ردها أمام زواره من اللبنانيين، وبينهم الرئيس نبيه بري.

كان بمقدور الحريري أن يتلقف كلام خامنئي بطريقة مختلفة. أن يقول أن تلك المرأة الجميلة لا تحتاج فقط إلى خنجر لحماية نفسها، بل ثمة نواقص أخرى، حتى يكتمل مشهد دولة أزميرالدا... كان بمقدور الحريري أن يعترف بلبنان وبقيمته الإستثنائية، وهذه حقيقة يلمسها زوار طهران، برغم وجود شريحة إيرانية تثن تحت وطأة أزمة إقتصادية — إجتماعية خانقة، وصولاً إلى مطالبها

مصلحته بأن يستعيد رئاسة الحكومة. ثانياً، أن يراكم بالصفقات الملتوية للفوز بمال شخصي وسياسي لن يأتيه، بعد الآن، بالصورة التي إعتاد عليها في مرحلة ما قبل محمد بن سلمان. ثالثاً، ثمة من يقول إن إيران أحرص من السعودية على بقاء الحريري في رئاسة الحكومة، طالما أنه لا يتجاوز السقف السياسي المرسوم له.

لن ينسى سعد الحريري أنه أهين واعتقل وصُفّع في السعودية قبل حوالي السنتين، ولولا تضافر إرادات دولية ولبنانية، لما كان موجوداً على الخارطة السياسية حالياً. أكثر من ذلك، هو يدرك عمق الحقد الذي تكنه له بعض الأوساط السعودية، من زمن الملك الراحل عبدالله بن عبد العزيز الذي تصرف معه بصفته "قاصراً"، وها هو الزميل سليمان نمر الذي أقام عقوداً من الزمن في السعودية، وكان مقرباً من الملك سلمان، يروي في كتاب له قيد



الطبع حاليا في بيروت، ما دار من نقاش بينه وبين وزير الخارجية السعودي الراحل سعود الفيصل. قال نمر للفيصل عادة لجوء سعد الحريري إلى السعودية في العام 2011 بذريعة الأمن: هل يعقل أن سعد يريد أن

لحرييري أن يراجع حساباته السعودية: إذا قرر إدارة ظهره، من يحتاج للثاني أكثر؟ هل يستطيع أن يفرض نفسه بشروطه الواقعية اللبنانية على محمد بن سلمان وما هو بديل المملكة؟

بيني زعامة في لبنان من مقر إقامته في جدة والرياض. حينذاك أسر الفيصل للنمر "رفيق الحريري كان مريحنا من اعباء لبنان ومشاكله، اما سعد فلقد اصبح عبئا علينا



في لبنان" (راجع نص سليمان نمر ص 24).

نظرة بن سلمان للبنان

تختزل عبارة سعود الفيصل الأخيرة عمق الموقف الرسمي السعودي في السنوات الأخيرة، فكيف إذا تم التدقيق في نظرة محمد بن سلمان للبنان؟ عندما زار وزير خارجية الولايات المتحدة مايك بومبيو لبنان قبل أقل من سنة، سمع تمنيات من مسؤولين لبنانيين، ولا سيما من الحريري ووليد جنبلاط، بأن تبادر واشنطن إلى طلب وديعة سعودية توضع في مصرف لبنان. وحسب المعلومات التي يرويها مقربون من الرياض، فإن بومبيو نقل الطلب إلى محمد بن سلمان، متمنيا عليه أن تدعم المملكة لبنان اقتصاديًا وماليًا، فكان جواب ولي العهد بالإنكليزية:

"The Lebanese populace is a corrupt populace" (شعب لبنان فاسد)، فأجابه بومبيو "بالطبع، لن أجادلك في هذا الأمر".

يقود ذلك للإستنتاج أن لا مظلة حماية حقيقية للبنان من قبل السعودية وباقي دول الخليج، كما كان الحال منذ العام 1990 حتى العام 2011. اليوم، تأتي مظلة الحماية من مصدر واحد. من غيرة الأميركيين على أمن إسرائيل، بما يجعلهم أحرص من أي وقت مضى على إستقرار لبنان. تسري المعادلة نفسها على قضايا اللاجئين السوريين والفلسطينيين. الغاز. اليونيفيل الخ...

لا يقلل ذلك من دور السعودية ودول الخليج الداعم للبنان منذ الإستقلال حتى الأمس القريب. دعم تخطى المؤلف مع ثنائي فهد بن عبد العزيز - رفيق الحريري. صار الأخير في صلب المؤسسة السعودية الحاكمة. وزير خارجية الظل. تمدد دور "البلدوزر" من لبنان إلى المشرق



العربي وأوروبا وآسيا.

تبدد الرصدين السياسي والمالي

عندما سقط رفيق الحريري، تعاملت عواصم غربية وعربية مع وريثه السياسي، من موقع الأبوة السياسية. رصيد ندر أن يتوفر لزعيم سياسي لبناني، سرعان ما تلاشى في أقل من عقد من الزمن. في زمن الحريري الأب، لم تعد فرنسا جاك شيراك، الأم الحنون لموارثة لبنان، بل حاضنة الحرية وراعيها. مع الحريري الابن، تتراوح النظرة بين حدي "السمسرة" و"الشفقة". يسري ذلك على علاقات دولية أخرى، بإستثناء موسكو التي عاملت سعد الحريري، بمثل ما عاملت والده، بوصفه رجل أعمال قبل أن يكون سياسيا أو رئيس حكومة.

زاد الطين بلة تبدد الرصيد المالي. نضبت الإلتزامات السعودية. إنهارت سعودي أوجيه، بعدما رفض السعوديون تسديد ما لا يقل عن 8 مليارات دولار من مستحقاتها. إنهارت مشاريع مالية حريرية متفرقة في تركيا وأفريقيا وأوروبا ولبنان والأردن تقدر بنحو عشرين مليار دولار. لا مشاريع تدر المال إلا "ماك". شركة مقاولات متوسطة الحجم نالت عقدا للصيانة في جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية، ما زال يحظى بمباركة الديوان الملكي وبشراكة كاملة مع الاخ غير الشقيق عدي الشيخ (نجل السيدة نازك الحريري). رصيد متواضع سيكون مهددا طالما أن الحريري لا يلتزم بـ"الوصفة" السعودية، بدليل أن الرياض أوقفت منحة الثلاثة ملايين دولار سنويا، ولم تحجبه عن آخرين لبنانيا، وبينهم من هو مرشح لرئاسة الحكومة مستقبلا، من بيئة الحريري نفسها.

المؤسف أن ما خسره الرجل

شخصيا، أبًا وسياسة ومالا وعمراً

(وحتى عائلة)، لا يستطيع أحد

أن يعوّضه عليه، لا الآن، ولا في أي

زمان، فكيف يُلام رجل وجد نفسه

فجأة يربح كل شيء، وفي لحظة

ثانية، يخسر كل شيء

الحريري والسعودية إلى أين؟

لا يبدو أن السعودية بوارد تكرار تجربة رفيق الحريري سياسيًا وبالتالي، لن تعطي سعد الحريري "على العميان". ثمة مملكة جديدة وأمير - ملك مقدر له أن يحكمها لخمس سنين سنة. القيمة المضافة للبنان ستبقى موجودة في وجدان



جمهور سعودي عريض يعتبر لبنان بلده الثاني. لكن بالنسبة للإدارة السياسية السعودية، سيبقى الأمر محكوما بالميدان. ميدان ممتد من الخاصة اليمينية إلى الخاصة الشرقية في الخليج العربي مروراً بلبنان وسوريا والعراق. لن يصرخ الإيراني ويقول "آخ". تكفي إستعادة واقعة معبرة. عندما إستهدفت السفارة الإيرانية بتفجير مزدوج في تشرين الثاني/نوفمبر 2013، خرج السفير الإيراني الراحل غضنفر ركن أبادي للقول للمصافيين إنه حزين لأنه لم يسقط شهيدا. في المقابل، عندما وقعت أحداث السابع من أيار/مايو، قرر السفير السعودي السابق عبد العزيز خوجة الهرب بقارب قاده من أحد المرافئ اللبنانية ليلا باتجاه قبرص. هذه الواقعة يرويه أحد صقور تيار المستقبل للتدليل على أن حسابات الميدان لا تدار من الديوان، بل من أرض المعركة، بكل أكلافها.

المستشارون.. المتحولون

تحتاج الأمور بين سعد والسعودية إلى مصارحة مستحيلة. لذلك، إما أن يختار وظيفة تجعله ياتمر بأوامر سيده أو يحاول كسب الوقت في إنتظار نهاية ماراتون الإشتباك من صنعاء إلى طهران. بين الإشتباك والإنتظار، إختار الحريري أن يمشی على حبل بهلواني رفيع، يحتاج إلى دقة وتوازن ورشاقة، وأية دلسة ناقصة، تجعل اللاعب يسقط من فوق إلى تحت، فكيف إذا لم تتوفر شبكة - منظومة حماية حقيقية؟

لا يمكن لأية سردية حريرية إلا أن تأتي على سيرة محيط ثابت متحرك. معظم المستشارين تبدلوا. الثابتون إما مهمشين أو شبه فاعلين. هل بنصت سعد الحريري لعلاء خواجه أم لباسم السبع؟ لهاني حمود أم لبعض وزراء فريق آذاز؟ من يلتزم بتعليمات زعيم المستقبل أكثر، أهو فؤاد



السنيرة الذي رفض بالأمس القريب نصيحته له بخفض سقف خطابه السياسي المناهض حزب الله أم صالح الغريب الوزير الإرسلائي الذي يتتهل لكل إشارة حريرية صالحة كانت أم طالحة!

قد يقول الحريري في سره أي زمن رديء هذا. "عمو فؤاد" الموظف المسؤول عن "خرجيتي" يحولها شهريا من "المتوسط" في بيروت إلى حسابي في واشنطن، صار هو دولة الرئيس ويريدني أن أكون تلميذا في مدرسته. يعطيني دروسا في السياسة والإقتصاد وأنا لا أؤمن عليه بمفردة صغيرة.

أذرة إيران وذراع الحريري

للحريري أن يراجع حساباته السعودية: إذا قرر إدارة ظهره، من يحتاج للثاني أكثر؟ هل يستطيع أن يفرض نفسه بشروطه الواقعية اللبنانية على سلمان؟ وما هو بديل المملكة إذا قررت معاقبته وتكسيهه؟

لن يعود الحريري إلى السعودية ويقول أنا الخادم عند مولاي. ولن تعود السعودية إلى لبنان لتنفق في أربعين سنة على آل الحريري أكثر بأضعاف المرات مما أنفقت إيران على كل أذرعته في لبنان والمنطقة طوال أربعين سنة أيضا، قبل أن يرتسم السؤال: ماذا كانت النتيجة عند هذا وذاك؟

عندما شيد رفيق الحريري "مدارس نجد الأهلية" بالرياض في العام 1983، نقل إبنه سعد من إحدى مدارس الرياض إلى هذه المدرسة الأرقى في الصف الأول ثانوي. في أحد الأيام، جاء سعد إلى البيت بضحكة غامرة. قال لوالده "أخذت 100 علامة اليوم". أجابه والده بحضور زوجته نازك: "أخذت أعلى علامة في صفك، بذراعك ام بذراع والدك صاحب المدرسة؟"

الحريرية السياسية.. رحلة الهبوط من الأسطورة إلى القاع السحيق

قاسم يوسف

بدا العقل السنّي منذ ما قبل فجر لبنان الكبير، أقرب إلى احتضان التاريخ ولفظ الجغرافيا. كان يعيش في بلده كمن يرتدي سروالاً ضيقاً يحس عليه أنفاسه وأحلامه. تفاعل بأولوية مطلقة مع قضايا المنطقة وتشعباتها. يقرأ فلسطين. يتابع دقائق التفاصيل في مصر وسوريا والعراق، ثم ينتقل لاحقاً نحو تحصين عروبة لبنان وارتباطه الوثيق بهذه القضايا، ولو على حساب تركيبته وصيغته وخصوصيته.

تفجرت هذه النزعة مع الصعود الهائل للزعيم جمال عبد الناصر. ثم مع المقاومة الفلسطينية وياسر عرفات. شعر هذا العقل بنشوة مفرطة عززت انخيازه الدائم لرفس الحدود والانتقال المتدرج نحو وحدة المسار والمصير. لكنه سرعان ما اصطدم بواقع محلي ودولي عصي على الكسر، ثم بسلسلة من الهزائم والخيبات التي تركت ندوبها العميقة في مستقبله وحضوره وطريقة تفكيره.

تجسدت أهمية هذا المخاض في قدرة هذا العقل على الالتحاق بالقضية أيّاً يكن حاملها. من عبد الناصر إلى ياسر عرفات وصولاً إلى كمال جنبلاط. سار السنّة في ركاب زعامتهم دون أن يقيموا أي وزن للتفاصيل الضيقة أو المماحكات الهامشية. تجسد الأمر عينه لاحقاً في التماهي الموصوف مع حزب الله وأمينه العام. ثم في الانتقال المفصلية من ضفة إلى أخرى عقب اغتيال رفيق الحريري. حيث أن بيار الجميل وجبران التويني وسمير جعجع ووليد جنبلاط باتوا رأس حربة في معركتهم، وفي قيادة انتفاضتهم وشارعهم.

الساحر البارع

حضر إلى لبنان سياسيٌ بارع يُدعى رفيق الحريري. أسند السنة رأسهم المتعب إلى كتفه العريض، ثم راحوا يمتنون أنفسهم بقامة من قماشة الكبار. لم يكن حالهم يوماً أفضل من تاريخهم أو مستقبلهم. الفارق فقط أنهم ابتسموا. ظنوا أن الابتسامة بداية الضحك، وما إن يضحكوا حتى تضحك لهم ومعهم الدنيا.

وصلت أسطورة رفيق الحريري قبل أن يصل، وما إن وصل، حتى ضجّت الدنيا بقصص نجاحه. "كنا نتوسط أحياناً لدى بعض الصحف، لا نتوقف عن انتقادنا، بل لتكف عن رفع سقف الآمال والأحلام. تخيل مثلاً أن الصفحة الأولى في جريدة كبرى خصصت بكاملها للحديث عن خطة سحرية يحملها رفيق الحريري لتأمين الكهرباء 24/24 بعد اسابيع قليلة من وصوله، فيما كان القطاع برمته يشهد دماراً شاملاً وموصوفاً"، يقول أحد مواكبي تلك المرحلة.

كان رفيق الحريري أشبه بساحر سُلم ببراغته وخفة

يده قبل أن نشاهد عرضه على خشبة المسرح. تحوّلت انتقلته الرشيقية من قاطف ليمون إلى قاطف نجاحات قصة تروي خيالنا الخصب. الناس تحب الأساطير. تحب الرجل المنقذ الذي لا يعرف المستحيل. رفيق الحريري كان من هذه القماشة، مع هالة استثنائية راحت تتعاظم يوماً تلو آخر. حتى اسلوب اغتياله وشطبه. لم يكن عادياً أو بليداً. بل انفجاراً يوازي انفجاره.

أرسى رفيق الحريري المدمك الأساس في صناعة هذه الأسطورة. لاحق الأدمغة في أقاصي الأرض وضمهم

إلى فريق عمله. ثم راح يترك بصماته المتميزة في غير مكان. شكلت شركاته ومؤسسته الصورة الأبهى عن تفوقه وريادته. في المقاولات والمال والاقتصاد، كما في الترفيه والإعلام، حتى بدا الرجل وكأنه ممّ حتمي لأي قصة نجاح، وأي بصيص أمل.

لم يكن رفيق الحريري بحاجة إلى افتعال معركة بوجه خصومه. يقولون إنه أغلق البيوتات السياسية في بيروت وغير بيروت. الواقع أنهم أفلوا جميعاً أمام هيبة حضوره وسطوة بريقه. كان عنواناً دائماً للنجاح، حتى

عندما يفشل، يتهم الناس غيره بالموبقات والصغائر. يقولون في معرض هجومهم ودفاعهم: يريدون أن يكسروا رفيق الحريري لأنه أكبر من قدرتهم على ترويضه أو تطويقه، وحين تعذر عليهم كسره، قرروا حرقه بطنين من المتفجرات.

رفيق الحريري كان تلك الهيبة الرهيبة التي حطت رحالها في عقول الناس. شعروا أنه قويّ قبل أن يختبروا قوته. أدركوا أنه حكيم قبل أن يتلمسوا حكمته. قالوا إنه شجاع قبل أن تظهر شجاعته. إذا عبد درب التسوية، فذاك قدر الكبار. وإذا سار في ركاب المواجهة، فذاك شأن الرجال. وعلى سجية هذه المعادلة البسيطة، قس ما شئت.

حضر إلى لبنان سياسيٌ بارع يُدعى رفيق الحريري. أسند السنة رأسهم المتعب إلى كتفه العريض، ثم راحوا يمتنون أنفسهم بقامة من قماشة الكبار

هاكم الفجيعة

عرف القاتل أن لوثة الابتسامة ومعها رفيق الحريري تعني خروجاً مهيباً من الإحباط الدفين. كان لا بد من استبدال ابتسامتهم بكاء لا يهدأ وقهر لا يستكين، وكان لا بد من قتل رفيق الحريري كما قتلوه. هكذا. بطنين من المتفجرات. أحرقوه ودفتوه. ثم قالوا لأولئك البائسين البائسين: الدنيا في بلادكم لا تضحك. ترفضون الإحباط؟

هاكم الفجيعة. عقّد وتيف والسنة يعيشون في خضم هذا الهاجس الرهيب. رحل رفيق الحريري وأخذ معه ذلك الأمل وتلك السكنية وتركهم في زاوية اللابقين. يشعرون أنهم أم الصبي. تارة بالولادة، وطوراً بالرضاعة. وكأنها عقدة ذنب، أو محاولة عبثية لإعادة إنتاج قامة بحجم هامته، أو جبلاً يوازي حضوره وهيبته.

يتناسى كثيرون أن الفاتورة الهائلة التي دفعها سنّة لبنان منذ شطب رفيق الحريري تكاد توازي مخاض المنطقة بأسرها. صحيح أن المشهد من دمشق إلى



حسن جوني - لبنان

صنعاء يفوق بدمويته ترف النضال السياسي والاعتيالات الموضوعية، لكن الصحيح أيضاً أن الانزلاق نحو الرد على الدم بالدم أسهل بألف مرة ومرة من ضبط النفس وكبح رغبتها الأكيدة في الثأر وفي الانتقام.

لم يتلمسوا منذ ذاك اليوم المشؤوم أي ارتباط حقيقي يجمعهم بهذا الكيان المريض. يصزّون على العدالة مقابل اصطيادهم وقتلهم في وضح النهار. يذهبون نحو تسوية ناجزة ولو على حساب دمائهم وكرامتهم. يحفظون الدولة وأجهزتها بأشعار عيونهم، وهم يدركون تمام الإدراك أنهم ضلع قاصر في منظومة تحترف سكب الملح في جرحهم الذي لا يطيب.

التمسك بالأولويات

بعد رفيق الحريري، انتقل السنة من ضفة إلى أخرى، كان الانتقال أشبه بمخاض عسير لولادة مستحيلة، راهن الجميع على تفكك هذه المعادلة المستجدة مع أول صراخ في المحيط. اعتبروا أن القبضة الأمنية، إضافة إلى العجز العسكري واندثار الزعامات، ساهمت في كبح جماحهم وتقليل أظافرهم على نحو يُظهرهم بصورة لا تشبههم.

مع اشتعال الربيع العربي وارتفاع الصراخ في المحيط، وقف من ينظر لنهاية شهر العسل بين سنة لبنان وأولوياتهم المستجدة. قالوا إن اغتيال رفيق الحريري لن يُشكل سداً منيعاً بوجه انفجار التاريخ. صحيحٌ أنه ادخلهم في هاجس مُحكم الإغلاق، لكن وهج المتحركات من دمشق إلى القاهرة يتخطى أي قدرة على التطويق، بل وأي رغبة في الاستكانة. هي مسألة أيام لا أكثر. حينها ستكتشفون أن الأحداث الممتدة من خمسينيات القرن الماضي وصولاً إلى الحرب الأهلية لم تكن سوى نزهة عابرة.

اشتعلت طرابلس وصيدا والأطراف. بدت بيروت أقل حماسة من أخواتها تجاه الانخراط في الانعطاف المؤكدة، لكنها واكبت إلى حد بعيد حجم التغيرات المريعة. أطل الخطاب الديني والسياسي المشتعل. تحولت المساجد والمناير إلى ما يشبه بركاناً يفيض بالقهر والمظلومية ويُحرّض على الثأر والقصاص. راح السنّة يتجهزون لمعركتهم الكبرى، وراح الشارع برمته يبحث عن زعيم يواكب هذا الصخب وهذه الثورة المفصلية.

سريعًا حطت المعارك رجالها، وفقد الخطاب شعوبيته الكاسحة. بدا الأمر وكأنه مجرد تديد عاجل لاحتقان مرزمن: لقد فشل الرهان على انجراف جماعي نحو الحريق. ثم جاءت المعطيات والحقائق لتنسّف كل الحسابات وكل الروايات، حيث أكدت الأرقام الموثقة أن عدد اللبنانيين السنّة الذين انخرطوا في النزاع السوري المسلّح يساوي، مثلاً، عدد الاستراليين أو الأميركيين الذين يقاثلون في سوريا، بل وأن عدد المشاركين من دول الاتحاد الأوروبي قد يتجاوزهم بأضعاف مضاعفة.

التسوية المؤلمة

على سجيّة مغايل الضاهر أو الفوضى، كان الخيار محصورًا بين ميشال عون وميشال عون. دخل السنة التسوية المؤلمة على نحو مبالغت، ثم راحوا يُمتّون النفس بأبغض الحلال: أن نشبتك داخل المؤسسات، أفضل بألف مرة ومرة من نقف نهرول عبره جميعًا نحو الهاوية.

لم يكن الخيار سهلاً على الكثرة الكثائرة من الوجدان السنيّ. شعر الشارع برهبة موصوفة. بدا وكأنه يقبض على جمرة صبّ فيها التاريخ ما تيسر من الكيد والقهر والمرارة. هو يدرك تمامًا أن التسوية لن تؤسس لمصالحة حقيقية بينه وبين المارونية العميقة، لا سيما في لحظات الضعف واندثار الهالة وأفول الزعامة، حيث أنها أقرب ما تكون حينها إلى الهزيمة والاستسلام، منها إلى تسوية نديّة وعاقلة.

تشكّل رأي سياسي وازن عقب وصول ميشال عون. محور الجذب والاشتباك تركّز حول إظهار سعد الحريري بصورة الضعيف الواهن والعاجز عن إدارة ملف يحجم سنة لبنان، ما دفع السعودية نحو سلسلة من الخيارات الصادمة وغير المحسوبة، وقد انعكست في الشارع على نحو مختلف ومباغت، حيث انتقل الصراخ من ضفة إلى أخرى، ثم بدأت الغالبية السنية الجارفة بقراءة المتحرك السعودي المستجد على النحو الآتي:

هل المطلوب منا أن نفجّر الاستقرار الأمني والسياسي بهدف ارساء توازن مستحيل مع إيران؟ هل نذهب نحو مواجهة مفتوحة تشبه عاصفة الحزم التي عجزت حتى الآن عن تحرير صنعاء؟ هل نستنسخ حمام الدم في

بعد رفيق الحريري، انتقل السنة

من ضفة إلى أخرى، كان الانتقال

أشبه بمخاض عسير لولادة

مستحيلة، راهن الجميع على

تفكك هذه المعادلة المستجدة

سوريا أو العراق؟ لماذا علينا أن نواجهه؟ بل لماذا علينا أن نُخرّب بلدنا؟
ثمة تجربة مريرة بدأت عقب شطب رفيق الحريري. دخلنا بعدها كل أنواع المواجهة. لامس الاحتقان السياسي والمذهبي مستويات غير مسبوقة على الإطلاق. جربنا كل أنواع النضال، من الشعارات المخملية إلى القدح والذم والشتايم. تضاربنا. تناحرنا. لاحقناهم بالدولة ومنطقها والعبور إليها، فلاحقوا بالعبوات الناسفة إلى قيورنا. قتلوا ألمع رجالنا. بددوا جُلّ أعلامنا. ثم قطعوا تذكرة ذهاب بلا عودة لزعيم أكبر تكتل نيابي، وأكبر حيثية سنية في تاريخ لبنان.

ماذا فعلت السعودية؟ ماذا فعل العرب؟ ماذا فعل العالم؟ .. لا شيء. لقد واجهنا وحدنا هذا النزيف الهائل وهذا القهر الرهيب. دفعنا من دمنا ومن حياتنا ومستقبل أطفالنا لقاء معركة تتخطى قدرتنا على حسمها أو التأثير بها. كنا مجرد بيادق في مشاريع كبرى. ارتمينا نحن البائسون اليائسون في خضم مواجهة مستطيرة مع منظومة تحترف الشطب والقتل والترويع. ظننا أنه نفق الزامي لخلاص أكيد. وأن النصر صبر ساعة. فصرنا وانتظرنا بلا طائل ولا أفق. ثم كان لزامًا علينا أن نستسلم. أن نذّور الزوايا الحادة، وأن نبحت عن شعاع أمل في قلب هذا الركام.



فريد بلكاھية - المغرب

الخطيئة الكبرى

سارعت السعودية إلى احتجاز سعد الحريري انطلاقًا من يقينها المُطلق بعدم أهليته الشخصية والسياسية لقيادة السنة أو المرحلة. هذا ما قالته بشكل مباشر أو موارب. وهذا ما يستند إلى مروحة واسعة جدًا من مشاوراتها الدورية مع الناقدین وأصحاب القرار، لا سيما أولئك الذين باتوا يسيطرون بشكل متعاطم على الأعمدة الخمسة التي تحمل السنية السياسية، ناهيك عن

وجدان شعبي جارف راح يتوزع بين الحياء واللامبالاة، وبين الارتصاف في ركاب الأصوات المناهضة والرافضة لما اتفقوا على تسميته بالاستسلام والانطباع.

لم تكن الخطوة السعودية المفاجئة وليدة فراغ أو تطور دراماتيكي غير محسوب، بل تماهت مع استطلاعات تفصيلية وحركة سنية نشطة، ناهيك عن كثرة كاثرة من الآراء التي أجمعت على رفضها أو امتعاضها من مسار التسوية، لا سيما لجهة الحضور الدقيق في تركيبة النظام، وما قد يرتبه أي خلل أو تنازل على دور السنة وفعاليتهم، انطلاقًا من رغبة تاريخية دفينة تتعلق بنسف المضمون السياسي لاتفاق الطائف ومفاعيله القائمة. وصولًا إلى الإقصاء التدريجي عبر استحقاتات تتخذ طابعًا ديمقراطيًا، لكنها تؤسس عمليًا لفرض واقع سياسي واجتماعي جديد.

اصطدم سعد الحريري بالمملكة التي صفعته كما لم تصفع أحدًا في تاريخها. كان الاصطدام رهيبًا ومريعًا ويضج بالعبيثة والارتجال. توهمت القيادة السعودية بجيلها الحفيد أن لبنان يعيش في فراغ. وأن التعاطي مع حالته السنية والوطنية يستوي مع هذه العجالة ومع هذا التسطيح المبتذل الذي تجاوز حدود الاستفزاز.

اصطدم سعد الحريري بالمملكة

التي صفعته كما لم تصفع أحدًا

في تاريخها. كان الاصطدام رهيبًا

ومريعًا ويضج بالعبيثة والارتجال

سعد الحريري كان ولا يزال في مكان مختلف. يشعر أن التسويات الكبرى لا بد أن تتلازم مع رشاقة سياسية تُتيح تقديم تنازلات تاريخية، ولو على حساب شارعه وزعامته. لكنه اصطدم على نحو مباغت بسلسلة متلاحقة من الجدارات الصلبة، والتي بدأت مع جمهوره الممتعض من التنازلات المجانية. ثم مع مجموعة وازنة من كتلته النيابية. لتعود وتنسحب على كوكبة كبيرة جدًا من الفعاليات السنية والوطنية.

الانتقام وسحق الذات

عاد مكسور الخاطر والجناح. ابتلع صفعة الرياض

وقال سأحتفظ بتفاصيلها. أما شارعه المربك، فقد سارع نحو تجرع عشرات السيناريوهات المرعبة التي تضح بها كبريات الصحف في العالم. لم يلتقط سعد الحريري اللحظة. ولم يُحسن احتضان التعاطف الشعبي الجارف. جذبه شذاذ الآفاق نحو الاشتباك في الأزقة. قال بأن بحصة كبيرة ترقد في فمه، وإن أحرابًا وشخصيات ساهمت في تويخه وإهانتته على النحو الذي استقيناه من وسائل الإعلام.

عاجلاً عمد سعد الحريري إلى تفرغ الحالة الحربية من مضمونها السياسي وإرثها التاريخي، عبر تحويلها من منصة وطنية تقبّض على القضية والشرعية والوجدان، إلى نسخة جديدة منفصلة تمامًا عن الواقع وعن التاريخ، عبر الإطاحة المزدوجة بالعقول الباردة وبالرؤوس الحامية، مستندًا في ذلك إلى رغبة شخصية، وإلى نصائح ملغومة تتمحور حول ضرورة استبعاد الأقوياء والملاكمين واستبدالهم بأشباح وأصنام على شاكلة أولئك الذين يسكنون المجهل أو متاحف الشمع.

هرب من الحقائق الموجهة إلى الانتقام والتشفي من الحلفاء ومن الأصدقاء. فعاقب فؤاد السيورة ونهاد المشنوق وأشرف ريفي وغيرهم على تمايزهم وفرادتهم وعلى موقفهم التاريخي والشجاع من تسويات بلا أفق، وذهب نحو توزيع الصفعات واللعنات والشتائم بحقهم وحق أولئك الذين وقفوا كالرمح في مواجهات قاتلة وحامية الوطيس، غير أبو لفداحة هذا المنزلق وانعكاسه الرهيب على البيئة التي تحتضن ما اصططح على تسميته الحربية السياسية أو الوطنية، وعلى حضورها الكامل والوازن والمؤثر في تركيبة الدولة والنظام.

بعد الانتخابات عام 20١8، تعاطى سعد الحريري مع اللعبة السياسية الخشنة، ومع التركيبة الفظيعة للنظام، ومع الهجمة الشرسة على الحقوق والصلاحيات والحضور، بعقلية لا تستوي حتى في المدن الفاضلة. حيث يريد لفريقه الوزاري الآتي من ذهنية المجتمع المدني أو من خلفية تكنوقراطية أن ينجح في مواجهة عُتاة السياسة وغلّاتهم على طاولة مجلس الوزراء، وهو نسخة مطابقة تمامًا عن فريقه النيابي، الذي بات يترواح بين أولئك الذين يتعنثون أمام أسس الأصول الاجتماعية والسياسية، وبين من تم استيرادهم من أحضان علي المملوك، فيما تغيب السياسة ويغيب أهلها لحساب أولئك الذين يبصمون ولا يناقشون.

بدا سعد الحريري ضعيفًا. مترهلاً. لا حول له ولا قوة. يحاول أن يستعيد رفيق الحريري السياسي. التسووي. المنفتح. دون الارتكاز على أرضية صلبة تخوله لعب هذا الدور أو استعادته. هو يعاني ضمن بيئته بعد سلسلة طويلة من الكبوات المتلاحقة، فضلًا عن التقلص المتدرج لفقّة الناس ولهيبته، وهذا بحد ذاته عنوانًا يستلزم إعادة النظر بكل شيء، انطلاقًا من رئاسة الحكومة، وصولًا حتى أصغر تفصيل في المحادثات اليومية.

في غمرة هذا الهوان. أعلنت غالبية المؤسسات التابعة لسعد الحريري إفلاسها وإغلاق أبوابها بعد صراع طويل، من سعودي أوجيه، الامبراطورية التي صنعها رفيق الحريري وصنعته، إلى جريدة وتلفزيون المستقبل. لا حاجة هنا لتشريح الأسباب والمسؤوليات. يكفي أن نخلّص إلى النتيجة المؤلمة: الحربية السياسية فقدت برحيل رفيق الحريري أبرز مقومات وجودها وتآلقها، وتحولت مع وريثه من عنوان دائم للتميز والتفوق والنجاح إلى ما يتجاوز التخبط والعشوائية والفشل.

السعودية وآل الحريري.. شتان ما بين الأب والابن

سليمان نمر

العربية" على القوات السورية بعد ان سحبت هي ودولة الامارات قواتهما من لبنان. والدليل ايضا ان الرئيس رفيق الحريري كان على علاقة جيدة مع الرئيس حافظ الاسد وأركانه، والجميع يعرف ان الحريري تدخل كثيرا لحل الكثير من سوء الفهم والاشكالات التي كانت تعترض العلاقات السعودية - السورية في عهد الاسد الاب، وهذا ما قاله الملك السعودي الراحل عبد الله بن عبد العزيز علنًا.



حسن جوني - لبنان

بسبب هذه النجاحات، اصبح رفيق الحريري مرجعا للسعودية في كل ما يخص لبنان، واوكل اليه ملف العلاقات السعودية مع لبنان لا سيما بعد ان سخر الحريري شركته "سعودي اوجيه" لتشكيل احد أبرز ادوات القوة السعودية الناعمة في لبنان وحتى في سوريا. يقود ذلك للإستنتاج أن الرياض فقدت بمصرع رفيق الحريري، ليس فقط حليفا ومدافعا عن مصالحها في لبنان، بل صاحب خبرة في التعامل مع قادتها مثلما يعرف كيف يتعامل مع القادة العرب والدوليين الآخرين. إختارت الرياض سعد الحريري وريثا سياسيا لوالده، ولعل قلة من المتابعين تعرف أن الملك سلمان- حين كان اميرا - وبحكم صداقته للراحل وأسرته، هو من رشح سعد

الحريري لوراثة والده سياسيا، مقترحان يتولى الابن الاكبر بهاء الدين الحريري مسؤولية الشركات والاستثمارات المالية للأسرة الحزيرية، وذلك بعد أن تناهى إليه وجود خلاف صامت بين بهاء وسعد حول وراثة الزعامة السياسية للاب الفقيده. وقدمت السعودية كل الدعم والتأييد للحريري الابن سياسيا، بعد وفاة والده وانتخابه نائبًا في البرلمان اللبناني وبعد توليه رئاسة الحكومة، للمرة الأولى في العام 2009. ما لاحظته كمرآب انه بعد مصرع رفيق الحريري، تراجع إهتمام المملكة بلبنان الى درجة بدا ان السعودية راحت تتخلى عن لبنان وعن حلفائها التاريخيين فيه، وزادت وتيرة "التخلي" مع لجوء الحريري الإبن إلى الرياض في العام 2011 ولثلاث سنوات متتالية تاركا انصاره وتياهه، حيث تولى إدارتهما عن بعد!

هذا الابتعاد السعودي عن لبنان، كانت له عوامل داخلية سعودية ايضا ولكن مصادر سعودية فسرت ذلك ان الرياض لم تجد احدا من حلفائها في لبنان قادر على التصدي للمشروع الابرائي في لبنان وبالتحديد لهيمنة "حزب الله" على قرار لبنان، فضلا عن توصل السعوديين إلى قناعة مفادها أن الحريري الإبن ليس قادرا على سد الفراغ الناجم عن رحيل والده، ولو بالحد الأدنى. وفي عهد الملك سلمان بن عبد العزيز، ساءت علاقات المملكة (ولكن من دون اي اعلان) بسعد الحريري ووصلت الى حد احتجازه في الرياض في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2017 لمدة اسبوعين واجباره على الاعلان من الرياض عن تقديم استقالته من رئاسة الحكومة اللبنانية.

وبرغم ان الامور سويت وعاد سعد الحريري الى بيروت واستقبل غير مرة من قبل الملك سلمان ورجل السعودية القوي ولي العهد الامير محمد بن سلمان، الا ان الحقيقة هي أن العلاقة السعودية مع سعد الحريري واهنة، برغم ان الرياض لم تتخل عنه برغم سعي البعض لتسويق انفسهم عند الرياض كبدل له، ولم تتجاوب معهم حتى الان.

ويرى الكثيرون من اصدقاء والده الراحل في السعودية وخارجها - ومنهم من ما زالوا يحاولون مساعدته - ان سعد الحريري اضاع الزعامة التي صنعها والده، مثلما اضاع واخوته شركة "سعودي اوجيه" التي اسسها والدهم بجهده وعرقه الكبيرين.

وأختصر النظرة السعودية الحقيقية لسعد الحريري بعبارة قالها لي الامير سعود الفيصل، قبل فترة وجيزة من رحيله، حين أسر لي "رفيق الحريري كان مريحا من اعباء لبنان ومشاكله، اما سعد فلقد اصبح عبئا علينا في لبنان".

(*) صحافي مختص بالشؤون السعودية والخليجية

الحريري ودمشق.. مسألة وقت

سامي كليب

في جامعة الدول العربية، وهذا الأمر بات قريبا خصوصا بعد التقدم في المسار الدستوري تمهيدا للانتخابات الرئاسية السورية، بدليل ما حصل في الأمم المتحدة بين الأمين العام لجامعة الدول العربية أحمد أبو الغيط والوفد السوري برئاسة وليد المعلم!

والملاحظ أن الرئيس ميشال عون الذي ارتبط بعلاقات ود مع الرئيس بشار الأسد ووقف إلى جانب سوريا في حربها برغم تاريخ العداء بين الجانبين، لم يزر منذ توليه رئاسة الجمهورية حتى الآن العاصمة السورية، ويسري

كان رئيس الحكومة اللبنانية قد قال "من المستحيل أن أזור سوريا لا في وقت قريب ولا بعيد، حتى ولو انقلبت المعادلات، وإذا اقتضت مصلحة لبنان ذلك، ساعثها بتشوفولكم حدا غيري". عبارات ردها في صيف العام 2018، لكن مذكًا، زار دمشق عدد من وزراء حكومته وكان آخرهم وفدٌ وزاري قاده وزير المال علي حسن خليل تحت شعار المشاركة في معرض دمشق الدولي. ومذكًا أيضا، زارت دمشق وفود عربية ودولية كان أبرزها علانية وفد اماراتي، وفي الكواليس، وفود خليجية أخرى، وذلك عشية عودة السفير الإماراتي إلى دمشق .

على مدى عقد ونصف من الزمن تراكمت الأخطاء والحوازج. لا شك أن الجرح عميق بين الحريري ودمشق منذ قرر الأول الانخراط في المعركة الخليجية والدولية لإسقاط بشار الأسد. التراجع عن ذلك ليس بحاجة إلى قرار، فهو حاصل عمليا لان سفيرتي البلدين يعملان بحرية كاملة، ولأن التعاون الأمني قائم، وكذلك جزء لا بأس به من التبادل الاقتصادي وشراء كهرباء من سوريا، ناهيك عن الزيارات الدورية التي يقوم بها مدير عام الأمن العام اللبناني اللواء عباس إبراهيم إلى دمشق، دون أن تغفل حقيقة أن أطرافا سياسية وازنة في حكومة الحريري، تقيم علاقات وطيدة مع سوريا مثل حزب الله والمردة.

ليس مطلوبوا من الحريري أن يזור سوريا، وليس معروفا بعد هل أن دمشق تقبل اصلا بهذه الزيارة، حتى ولو أن مسؤولوا سوريا رفيعا قال لنا "أن سياسات الدول تبنيها المصالح لا الأحقاد"، وذلك حين سالناه عن احتمال هذه المصالحة، لكن التعاون بين الحكومتين اللبنانية والسورية لا بد وأن ينتقل من مرحلة سياسة النعامة (أي إخفاء الرأس في الرمال) إلى مرحلة العلاقة المباشرة. هذا يتطلب وقتا، ولعله ينتظر خطوات سياسية في سوريا تسمح باستعادة دمشق مقعدها

النظر بالكثير من الحسابات، تماما كما حصل حين زار

الحريري دمشق في العام 2009، برغم الاتهامات التي وجهت إليها منه ومن فريقه السياسي، باغتتيال والده الرئيس الشهيد رفيق الحريري. ومن المعروف أن من أعطى الضوء الأخضر للزيارة وقتذاك، والمبيت في دمشق، هو الملك السعودي الراحل عبدالله ترجمة لتفاهم سعودي — سوري عرف اختصارا بمعادلة "السين.. سين".

لنأخذ نموذج العلاقة بين الحريري وإيران. برغم الحرب الضروس التي تباعد بين الرياض وطهران، يستقبل الحريري معظم الموفدين الإيرانيين الذين يزورون بيروت، بالإضافة إلى سفير إيران في العاصمة اللبنانية. هذا الهامش فرضته حاجة الحريري ومصالحته، ذلك انه من غير الممكن الاستمرار والنجاح في العمل الحكومي وفي استعادة الحريري شيئا من وهجه المالي اذا ما كان في حالة حرب مع طهران وحزب الله. هذا كلفه في السابق غضبا سعوديا كاد يطيح به وبكل تاريخه ومستقبله السياسي.

يوما بعد يوم، تنحو الأمور بالإتجاه الإيجابي. ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان يقول انه ليس مسؤولا عن تورط بلاده في الحرب السورية وليس لديه اي مشكلة في استعادة العلاقة مع الدولة السورية بقيادة الأسد. كل ما يأمله هو تخفيف الحضور الإيراني في سوريا وانسحاب حزب الله أو على الأقل مساهمة سوريا في إنهاء حرب اليمن عبر الضغط على إيران. يبقى أيضا أن الحريري مرتبط بعلاقة وطيدة وعميقة مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين حليف الأسد. هذه علاقة ورثها عن والده وطورها جدا مع بوتين الذي التقاه مرارا لا بل أكثر بثلاثة اضعاف ما التقى الأسد نفسه. فإذا كان الحريري يرفض العلاقة المباشرة مع دمشق بذريعة الحرب ومسؤولية الأسد عنها، فهل يقول الشيء نفسه عن حليف الأسد، اي بوتين؟

انطلاقا من كل هذا، يمكن القول أن العلاقة المباشرة بين حكومتي لبنان وسوريا هي مسألة وقت، لكن من الأفضل أن تتم بعد تطبيع العلاقات السعودية السورية ليس فقط لمنع الحراج مع الرياض وإنما وخصوصا لان الخطوة السعودية تعني أن واشنطن ليست معارضة لذلك. ولا شك أن الورشة الهائلة لاعادة إعمار سوريا تفتح شهية الحلفاء والخصوم على حد سواء. يكفي رصد من يזור سوريا طارحا مشاريعه في هذه الايام، حتى نفهم أكثر..

في خطابه الثالث من على منبر الامم المتحدة، دعا رئيس جمهورية لبنان إلى التفاوض المباشر مع سوريا بشأن النزحين، وهو إقتراح تبناه رئيس مجلس النواب، فهل يستطيع رئيس الحكومة سعد الحريري التنصل من هذا الاستحقاق؟ على الأرجح لا.

الحريرية: غابت القضية.. فغاب التنظيم والعصب

أمين قمرورية

قرار الرئيس سعد الحريري إغلاق تلفزيون المستقبل، يمثل نقطة الذروة في المسار التراجعي للتيار الأزرق، ويمكن معه الاعلان عن دخول الحريرية السياسية حالة فقدان الوزن أو التلاشي في إنتظار بديل طال غيابه.

في البدء، كان إنكفاء الرئيس الحريري الإبن عن دعم وسائل الإعلام المحلية والعربية وحتى الدولية التي ساهمت في صنع أسطورة الرئيس الأب في ذروة وهجه السياسي، عبر السخاء المادي والمعنوي على هذه المؤسسات والعاملين المؤثرين فيها والتضييق على الخصوم منهم. ما لبث الأمر أن طاول الامبراطورية الاعلامية الخاصة بالحريرية نفسها، من جريدة "المستقبل" إلى الشاشة الزرقاء مرورًا بإذاعة "الشرق" وشبكة المواقع الإخبارية والنشرات المتعددة الشكل والنبذة، وكلها تعبر عن صوت واحد. هذه المؤسسات دخلت مرحلة "الكوما" منذ سنوات، وتراجعت تدريجًا حتى بلغت مرحلة إعلان النعي الرسمي. أما ذريعة التراجع، فهي الحديث عن أزمة مالية، لكنها ذريعة غير مقنعة بالكامل. برغم خروج سعد الحريري من قائمة "فوربس" الأميركية لأغنياء العالم، العرب منهم تحديداً، للمرة الأولى، في العام 2019، وفق الإحصاء الصادر في آذار/ مارس الماضي، فإن الرجل يبقى من الأثرياء الكبار في لبنان، فيما ثروات المستفيدين من "نعم الحريرية" ظاهرة للعموم من دون رتوش. في حين أن ثمة وسائل إعلام ما تزال تقاوم الأزمة المادية وأزمة المهنة وتثبت حضورها الجماهيري بأكلاف بسيطة ومعقولة يقدر عليها من هم أقل قدرة مادياً وسياسياً بأشواط من آل الحريري. إذاً، أين تكمن المشكلة، هل هي في وسيلة إعلام راح البعض يهمس في إذن صاحبها أنها من دون فاعلية وتضم مسترزيقين لا يعملون ويتعين التخلص منها ومنهم، أم في الحريرية السياسية نفسها؟

الانهيار الحريري في الاعلام سبقه إنهيار عدد كبير من المؤسسات والمشاريع المنتشرة في لبنان والخارج وبلغت ذروتها مع السقوط المدوي لـ"سعودي اوجيه" التي صنعت مجد رفيق الحريري، قبل أن تؤول إدارتها إلى ابنه سعد الذي أقفدها سعدها.

إنهيار الامبراطورية الإقتصادية والإعلامية للحريرية، ترافق مع نكستين إنتخابيتين متتاليتين، أولى في البلدية (2016) وثانية، في النيابة (2018). فقي الإستحقاق الأول لم تستطع الحالة الحريرية في معقلها البيروتي أن تحسم وحدها الإنتحان من دون الإستعانة بالأصدقاء، في حين كانت الخسارة فاضحة في المعقل الطرابلسي. أما في الإستحقاق الثاني، فقد دخلت الحريرية في إختبار صعب،

إذ جرت المعركة داخل البيت بعدما تجرأت شريحة واسعة من البيارة على خوض مواجهة مباشرة معها أفقدتها عدداً من المقاعد كان مقدراً أن تبقى في حوزتها. والأخطر هو تدني نسبة الإقبال على التصويت ما عكس حالة من النفور أو الفتور لدى جمهور التيار في معاقله ولا سيما في العاصمة، علماً أن البيروتي له خصوصيته، فهو ليس سلفياً ولا وهابياً ولا متشدداً، بل يتأثر بمن يرضى مصالحه ويحافظ على خصوصية مدينته في وقت ترتفع أسئلة الشك بين المناصرين السابقين للتيار عما آلت إليه أحوالهم في مدينتهم. وكانت الحصيلة النهائية خسارة الحريري عدداً كبيراً من مقاعده وخسارته وحلفائه الأكثرية النيابية، ما جعل وجوده على رأس الحكومة رهن إرادة الآخرين.

أسباب عدة وضعت التيار الأزرق على طريق الإنحدار، ما هي؟

أولاً؛ الخلط بين الارث والميراث في السياسة

الارث السياسي ليس مجرد عقارات وأصول مالية يمكن نقل ملكيتها، وتالياً فإن سعد الحريري ليس رفيق الحريري، والظروف التي صنعت شخصية الإبن ليست هي التي طبعت صورة والده. وقد لخص ذلك السفير الأميركي الأسبق جيفري فيلتمان في برقية سربتها، "ويكيليكس" عندما قال إن التوقعات في شأن دور سعد ومقارنته بدور والده تقود إلى "خيبة أمل". فسعد يفتقر إلى المعرفة المحلية الأساسية التي كانت موجودة لدى والده. كذلك فإن الحريري الابن لم يعد يتمتع بالثروة ذاتها التي كانت موجودة بين يدي والده، إذ قُسمت بعد إغتيال الأخير على ستة أشخاص.

ومقارنته بدهاقنة السياسة الكبار في لبنان، بدا الرجل اللبنانيين أنه الأقل دهاء وحنكة وخبرة ومهارة في المناورة وقوة الشخصية. ولأنه لا يحمل أي من المؤهلات القيادية البارزة، فإن هذا ما جعل من وليد جنبلاط القائد الفعلي للحريرية السياسية عام 2005، ومن سمير جعجع رمزها 2019. وإذا كانت بساطته في التعبير ومزاحه وتلعنمه الخطابي شكلت سر نجاحه الشعبي (وخصوصاً في الوسط النسائي) في المرحلة الأولى من توليه الرئامة، فإن التحسن الذي طرأ على خطابه السياسي ولغته التي صارت ممزوجة بالخبرة والقدرة على التخاطب والتعبير لا سيما بعد حادثة الرياض (الإحتجاز في خريف 2017)، جعلته صورة طبق الاصل عن السياسيين التقليديين، وأقصدته بعضاً من خاصيته التي أحيها المواطنون العاديون.

وجاء الحصار المالي من الحلفاء، ليضعف الولاءات لا سيما بعد توقف المساعدات الاجتماعية والمدرسية والخدمات الطبية، التي كان يوفرها رفيق الحريري

في صفوف هذه القواعد. ولم يكن الحال أفضل بعد العودة، إذ صار التواصل فوقيًا، يقتصر على مناسبات محددة أو عبر وسطاء غير أكفياة أو زمرة من الانتهازيين أصحاب المصالح. وبعدها كانت الحريرية، حالة عابرة للمناطق والعائلات والطبقات والفئات، صارت مجرد "تسقييات".

ثالثاً؛ الخيارات السياسية الصادمة

دفعت وطأة الشغور الرئاسي وتعطيل مؤسسات الدولة لا سيما مجلس النواب، وإندلاع سلسلة من الأزمات الإجتماعية والإضرابات النقابية، بالنظام والدولة والطائف إلى مرحلة الخطر الشديد. وإزاء ذلك عمد الحريري إلى إتخاذ سلسلة من المبارات لكسر الجمود الرئاسي وإعادة تحريك مؤسسات الدولة. لكنها أتت



موسى طيبا - لبنان

ثانياً؛ الابتعاد عن القاعدة

بنتائج معاكسة لدى جمهوره وحلفائه. وكانت أولى هذه المبادرات ترشيح خصمه السياسي في فريق 8 آذار النائب سليمان فرنجة لرئاسة الجمهورية، الأمر الذي دفع بحليفه رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع إلى الإستدارة نحو خصمه الأول العماد ميشال عون وعقد تفاهم معه، وصولاً إلى تبني ترشيحه لرئاسة الجمهورية كردة فعل صاعقة لخيار الحريري بترشيح فرنجة. وكانت النتيجة الأولى لهذا الخيار ظهور حالات تمرد وإنشقاق داخل التيار الأزرق أبرزها حالة الوزير السابق اللواء أشرف

ريفى. أما الصدمة الأكبر التي تلقتها القواعد الحريرية، فكانت إعلان الحريري تبني ترشيح خصمه الأكبر ميشال عون رئيساً للجمهورية، والتي لا تزال تداعياتها قائمة حتى الآن داخل التيار ولدى جمهوره. وجاء قبول الحريري بقانون إنتخابي نسبي يليي حاجة القوى الأخرى لا سيما حليفه الجديد رئيس التيار الوطني الحر الوزير جبران باسيل بمثابة المطرقة على الرأس، إذ أفقده المرتبة الأولى في الحصص النيابية وتالياً الحكومة. وبدا الحريري من خلال بعض مواقفه السياسية والتنازل عن بعض المسلمات أن هدفه الوحيد البقاء في السراي وضمان حصته من كعكة المحاصصات الطائفية، ما إعتبر في بعض الاوساط الحريرية تخلياً عن صلاحيات موقع رئيس الوزراء وعن المكانة التي إكتسبتها الطائفة السنية في نظام الطائف.

رابعاً؛ تمزق مظلة الحماية الاقليمية

السلطة في لبنان ليست مجرد ناتج لما يقدمه الصندوق الإنتخابي من تعبير عن وجهات نظر القوى المحلية، بل إن قواعد اللعبة تعكس توازنات إقليمية ومن ورائها توازنات دولية، وهذا ما جعل الحياة السياسية اللبنانية مكلفة جداً وتحتاج لأموال طائلة وإدارة علاقات خارجية مع دول، وليس مجرد الاكتفاء بنشاطات محلية في إطار الدولة الوطنية، وذلك خصوصاً بعد تعزز النفوذ الإيراني والسعودي بإمكاناتهما الكبيرة في مواجهة بعضهما البعض، فإنعكست الثنائية الإقليمية لطهران والرياض تقابلًا محليًا لحزبين كبيرين: تيار المستقبل وحزب الله.

والحريرية السياسية لم تكن لتنجح في حكم لبنان بدون الرعايتين السعودية والسورية، وبدون التحالف مع ميليشيات الحرب الأهلية. لكن الأمور تبدلت بعد الخروج السوري من لبنان إثر إغتيال الرئيس الحريري الأب وصارت دمشق الخصم الأبرز للحريرية السياسية. وبعد الأحداث العنيفة في سوريا سارت الرياح هناك بعكس ما تشهتي السفن الحريرية، إذ ظل النظام السوري متماسكًا، مسقطًا كل رهانات الحريري وحلفائه الإقليميين على التغيير في دمشق. وترافق ذلك أيضًا مع تعرض الراعي الإقليمي السعودي لخسائر متلاحقة بدءًا من العراق وصولاً إلى سوريا وإنهاء بالكارثة التي حلت بنفوذه في اليمن. ومع الإعلان الضمني السعودي للحرب على إيران، وخصوصاً على حليفها "حزب الله"، تعرض الحريري نفسه لصفعة سعودية إختلطت أسبابها بين المحلي السعودي وبين الشخصي والسياسي (إحتجازه في تشرين الثاني/ نوفمبر 2017 وإجباره على إعلان إستقالته من هناك). وكادت هذه الصفعة تكون قاتلة لولا التدخل الدولي في اللحظة الحاسمة والتفاف اللبنانيين حول رئيس حكومتهم.

لاحقًا، أعادت عودة الحريري من الأسر بعض الروح الى حركته السياسية وجسّدت التعاطف الشعبي معه. لكن عودته سالمًا وإستقباله مجددًا في الرياض كرئيس حكومة دولة لن يكون بالضرورة فاتحةً تجاوز ناجح لما كان عليه وضعه قبل "الصفعة"، لا بل بدا واضحًا أن الخيمة المادية والسياسية التي كانت توفرها المملكة للحريرية صارت شبه ممزقة وصار على الحريري البحث عن مظلة إقليمية أخرى لتوفير الحماية والدعم. وهو ما إنعكس سلبيًا على حركته برمتها.

خامسًا؛ فقدان القضية

لا يمكن لحركة سياسية أو حزب العيش والإستمرار والإستقطاب من دون حمل قضية سياسية تكون رافعة لعصبيتها وتنظيمها وحشد الناس خلفها. لقد جعل الحريري الأب من قضية إعادة إعمار البلد قضية وطنية يامتياز أسكتت كل خصومه السياسيين على الرغم من كلفتها الباهظة. وهذه القضية حولت رفيق الحريري من رجل أعمال ثري إلى زعامة سياسية طاغية في الساحة السنية ولها إمتداداتها الوطنية. وبعد إغتيال رفيق الحريري، تقدمت قضية الدم على قضية الإعمار وترافقت مع إحتقان مذهبي لتشكل رافعة إنتخابية قوية في دورة 2005 وبلغت الذروة عام 2009 عندما حصد التيار الأزرق منفردًا 34 مقعدًا نيابيا ليشكل أكبر كتلة نيابية مستقلة في تاريخ البرلمان اللبناني، كما حقق مع حلفائه في فريق 14 آذار غالبية مريحة في مجلس النواب تخوله تأليف الحكومات بغالبية الثلثين. وأزاح بهذا الإنتصار الإنتخابي كل منافسيه في الساحة السنية، لكن مع مرور الوقت وتلاشي الإحتقان المذهبي وتماهي الحريري مع سياسات خصومه السابقين لا سيما "حزب الله" والتيار الوطني الحر"، فقدت هذه القضية سرورها، وصارت الحريرية عارية بلا قضية، وأدى شح الأموال إلى تفكك الولاة.

وفيما كانت الحريرية السياسية في لبنان تخسر رهاناتها الإقليمية، كان خصمها الأبرز أي "حزب الله" يحقق مع حلفائه المكاسب الميدانية، ويجعل من محاربة الإرهاب قضية جديدة مضافة إلى قضية رزع العدوان الاسرائيلي، في حين كان الخصم الآخر، أي "التيار الوطني الحر" يجعل من قضية إستعادة حقوق المسيحيين وإسترجاع صلاحيات رئيس الجمهورية، قضية رابحة في الوسط المسيحي.

هذه الأسباب مجتمعة من شأنها أن تضع الحريرية السياسية على منزلق شديد الإنحدار، لكن نظرًا إلى غياب مشروع وطني بديل عن الحالة الطائفية، ونظرًا إلى تعقيدات أي قانون إنتخابي تضعه القوى السياسية الفاعلة، ومنها تيار المستقبل، على مقاسها، فإن الحالة الحريرية ستظل حاضرة في الساحة السنية في المدى المنظور، لا سيما وأن الشخصيات السنية المعارضة للحريرية يقتصر وجودها على المحليات إن في الشمال (نجيب ميقاتي وفيسل كرامي وجهاد الصمد) أو البقاع الغربي (عبد الرحيم مراد) أو صيدا (أسامة سعد)، وأظهرت تجربة "اللقاء المشترك" أن لا إمكان لتجميعها في إطار موحد من أجل إيجاد كتلة وازنة على إمتداد الخريطة اللبنانية.

كان يمكن لحراكات المجتمع المدني ولا سيما تجربة "بيروت مدنيتي" أن تشكل نموذجًا مجتمعيًا يمكن التعويل عليه سياسيًا في وقت لاحق، لكن وباء الـ"أنا"، عجل في إنهاء هذه الظاهرة ومثيلاتها. لكن زمن الحريرية لن يعود أبدًا إلى عامي 1992 أو 2009، إذ بدأت أصوات سنية تغرد خارج سرب المستقبل، وقد نرى وجوهًا سنية سياسية مؤثرة تنطق بخطاب غير خطاب الحريري حتى من داخل الحريرية نفسها، وقد تمهد لعودة التنوع السياسي الى الشارع السني، كما درجت العادة في العهود ما قبل الحريرية.

علاء الخواجة.. ديكتاتورية المال

ندر أن تشارك في حلقة سياسية أو إقتصادية في بيروت، إلا ويتردد فيها إسم علاء الخواجة. "الأسطورة كلام، ولكن ليس أي كلام"، يقول الناقد الفرنسي رولان بارت في كتابه "اسطوريات". في الحالة الخواجية، الشخصية الغامضة تكاد تكون هي الأسطورة، لكثرة ما ينسب إليها أو ما ينسج حولها من حكايات، بعضها يمت بصلة إلى الحقيقة، وبعضها الآخر، من صنع الخيال اللبناني.. حَمال الحكايات و"الخبريات". أما "الأسطورة" نفسها، فقد قررت أن تقبع في مربع الغموض والأسئلة والظلام، وهي الصورة التي يشتهيها الرجل لنفسه، وهو المعروف بحبه لعالم الليل والسهر وإبتعاده عن النهار والضوء والصفوف الأمامية. هذه محاولة لرسم صورة أولية إستنادًا إلى بعض معارفه اللبنانيين والمصريين.

لمع نجم علاء الخواجة، لبنانيا، في السنوات الثلاث الأخيرة. قبل ذلك، كان بعض الجمهور اللبناني، يعرف إسمه جزءا من عالم الفن والنجوم والمشاهير في مصر. هناك، تزوج فنانتين مصريتين صديقتين، هما شريهان وإسعاد يونس، (الراقصة سحر حمدي إرتبط بها لفترة قصيرة جدا)، قبل أن "يقتنع" سيدة لبنانية بالطلاق من زوجها رجل الأعمال البيروتي، حتى تصبح زوجته الحالية. هنا، يصبح المال وسيلة لـ"إقناع" زوجة وشراء حصة وعقار ومصرف وأرشيف.. والأهم صمت إعلام وإعلاميين. إحتجز سعد الحريري في الرياض في خريف العام 2017، وأجبر على الإستقالة. لاحقًا، ساهمت أدوار محلية وإقليمية ودولية في إعادته إلى بلده وعائلته وجمهوره.. والأهم حكومته.

في هذه اللحظة السياسية، بدأ يسطع إسم علاء الخواجة. خرج من الهمس إلى العلن، وهو مسار كان قد بدأ غداة إنتخاب العلام ميشال عون رئيسًا للجمهورية وعودة سعد الحريري إلى السرايا الكبير في نهاية العام 2016. في البداية، قيل إن هذا الرجل مكلف من الديوان الملكي السعودي بالوصاية المالية على الحريري، ربط بحدثة "الريتز" وإسترجاع أموال من شخصيات سعودية، بينها الحريري، وصولا إلى إفلاس أمبراطورية "سعودي أوجيه". منذ تلك الفترة، بدأ الخواجة يتحرك ضمن دائرة ضيقة من رجال الأعمال والسياسيين والصحافيين وأهل المجتمع...

وحتمًا لن يفصح الرجل عن هويته، الفلسطينية، الأردنية، المصرية، اللبنانية وعلاقاته المتشعبة في أربع جهات الأرض.

قد تجلس معه على طاولة واحدة في أحد مقاهي العاصمة، وتسأله متى يأتي الخواجة علاء، فيجيبك "أنا علاء الخواجة"، وهي واقعة — ربطا ببنائه المربوع — تشي أنك أمام رجل عادي، مُلتج، بلا ربطة عنق في أغلب الأحيان.

يذكرنا علاء الخواجة بمسلسلات وأفلام قديمة بالأسود والأبيض. يتفق عارفو الرجل على أن المقاطع الأولى من "مسلسله" سجلت في مصر تحديدا. صداقات قوية معطوفة على منظومة مصالح متصلة بالنظام في زمن حسني مبارك. نساء وفن ونجوم وسياسة. المحصلة هي الفوز بأرشيف مصر الفني، السينمائي، التلفزيوني، الموسيقي، وإنشاء شركة لهذه الغاية، مع صديقه أحمد نجل الكاتب العربي الراحل محمد حسنين هيكل. لاحقًا، أمكن للشركة، بيع هذا الأرشيف الضخم إلى "الجائزة الكبرى" الأمير الوليد بن طلال (روتانا). مع هذه الصفقة، حقق الخواجة وشركاؤه ثروة كبيرة، ولو أن الأمر إستدعى رفع دعاوى من متضررين وإندلاع سجالات، أخرجت، في حينه، إسم علاء الخواجة إلى العلن في الصحافة المصرية.

في لحظة ما، وحسب مؤسس موسوعة المعرفة الدكتور ناثل الشافعي، قررت منظمة التحرير الفلسطينية إستبدال محمد رشيد تركماني حامل محفظة وإستثمارات ياسر عرفات من عضوية مجلس إدارة "أوراسكوم للإتصالات" بعلاء الخواجة، قبل أن يؤول أمر هذه الشركة المصرية كلها إلى المليونير اليهودي الروسي ميخائيل فريدمان. إختفى إسم الخواجة، كما تركماني، وكأنهما لم يمرأ على مجلس إدارة "أوراسكوم" التي إرتبط إسمها بإسم رجل الأعمال المصري نجيب ساويرس.

وإذا كانت شخصية الخواجة المصرية إرتبطت بفن وفنانين، إلا أنها كانت وثيقة الصلة برجال أعمال من صنف عائلة حسني مبارك وآل هيكل وساويرس. ينسحب ذلك على شخصياته الأخرى، ولو أنها إرتبطت أكثر بـ"البنزس" وتراجع حضوره بين نجوم الفن. علاقة وطيدة بالملك الأردني عبدالله الثاني ورجالات النظام والديوان ولا بأس من محفظة أعمال صغيرة في عمان.

الصيت العراقي، حسب رجل أعمال مصري، "إرتبط بدخوله في شراكة مع أحد رجال الأعمال العراقيين في زمن صدام حسين، أفضت إلى خلافات وإنصاحه وترك علامات إستفهام حول حقيقة نظرة الأميركيين إليه".

ولأن لبنان منصة سياسية — إعلامية — إستخباراتية، لم يكن مرور علاء الخواجة فيه، بالطريقة التي يشتهيها دوما. رجال سياسة يصوبون عليه من أجل الفوز بوريقة صغيرة من دفتر شيكاته. مؤسسات إعلامية تنال "مبتغاه" مقابل مطلب صغير لا بل متواضع جدا: لا تذكروا إسمي نهائيا، لا مدحا ولا هجاء. المطلوب فقط إهمال سيرتي، وليقل هذا

كان مههدا ينسحب بهدوء شديد. إستفاد علاء الخواجة في المرحلة الأولى من منظومة علاقات حريرية أبرزها مع نادر الحريري (استمرت العلاقة بينهما حتى من بعد إبعاد مستشار ومدير مكتب رئيس الحكومة السابق، وهما يلتقيان في أغلب الأحيان في العاصمة الفرنسية). إتخذت ترجمة "الوصاية" على سعد الحريري أشكالًا عدة من الشراكة، منها شراء حصة أيمن رقيق الحريري في مجموعة البنك المتوسط بمبلغ قدره 1.267



بطرس المعري - سوريا

وذاك ما يريد. لست محتاجا لمن يدافع عني، كما ينقل عنه أحد الزملاء الإعلاميين.

قاعدة ذهبية تعفي من يرم تفاهما شفها معا، في أن يتحرر من الزجليات اللبنانية التي تلزم هذه المؤسسة أو تلك بكيل المديح لهذا المتمول (السياسي أو غير السياسي) أو ذاك. يساعده في حماية هذه الصياغات، فريق قانوني محترف، خصوصا وأنه يشكل ركيزة في منظومة، يبدو أن أحد أساساتها "تركيب الطرايش" في هذا المشروع أو ذاك. إذا أصاب المشروع يريح، وإذا

والمعروف أن الخواجة بإستحواذه على 43 في المئة من بنك المتوسط، تكون باقي الحصص موزعة كالآتي: 43 في المئة لسعد الحريري، ولها شروطها مع علاء الخواجة، والباقي (14 في المئة) للسيدة نازك الحريري. ويشترط الخواجة على الحريري أن يسدد هو وجماعته القروض التي فازوا بها من "المتوسط" في عز "ثورة الأرز"، ومن أبرز هؤلاء "رئيس وزراء أسبق يرفض حتى الآن تسديد قرضه الذي يقدر بعشرات ملايين الدولارات، بينما سارع مؤخرا فريد مكارى (نائب رئيس مجلس النواب السابق) إلى تسديد قرضه البالغ حوالي ثلاثين مليون دولار، بعد تسييل أحد عقاراته خارج لبنان مؤخرا"، يقول أحد العاملين في بنك المتوسط.

وبينما ينجه الخواجة، حسب المصدر نفسه، إلى رفع دعوى قضائية ضد رئيس الوزراء الأسبق، فإنه تفاهم مع رئيس الوزراء الحالي على جدولة ديونه للمصرف تحت طائلة إما وضع يده على حصة حريرية جديدة في "المتوسط" أو وضع المصرف يده على بعض العقارات التي يملكها سعد الحريري ومنها "بيت الوسط".

إذا سئل الخواجة من القريين أو

البعيدين، يكون الجواب واحداً:

لست رقيق الحريري الجديد، ولا

طموحات سياسية عندي، أنا فقط

من جماعة "البنزس"

وللخواجة حصة في الإعلام الأزرق، ولو من نافذة الإقفال القسري لتلفزيون "المستقبل". هنا، تبدو القضية ملتبسة. لا يخفي الرجل وجهة نظره، وهي أقرب ما تكون إلى وجهة نظر آخرين في الفريق الحريري. كان ينبغي على سعد الحريري إقفال الشاشة الزرقاء وإغلاق جريدة المستقبل وإذاعة الشرق ومواقع المستقبل الإلكترونية فور عودته إلى لبنان، بعد غيبته الطويلة عن بيروت وتراكم الديون(رواتب مؤجلة للموظفين والمتعاقدين وتعويضات لا تدفع لمن صرفوا وإشتركات متراكمة للضمان). هذا الأمر الواقع، وهو نتاج تأجيل إتخاذ القرارات ترافق مع إرتفاع ديون الحريري في كل القطاعات، ما جعله يرهن معظم عقاراته وعقارات المستقبل، تيارا ومؤسسات إلى بنك "ميد".

ووفق الإتفاق بين الحريري والخواجة، فإن الأول، سيبليغ التيار الأزرق أن النسخة الجديدة لتلفزيون المستقبل الإخباري، بفريق مصغر وبتقشف إداري وبرامجي، لن

يكون هو المسؤول عنها، بل ستكون في عهدة علاء الخواجة بالكامل. الهدف هو أن يحرق الحريري نفسه من فكرة التوظيف السياسي، خصوصا وأن حجم المطالب والتدخلات، حتى من داخل البيت الحريري (العمة بهية وأحمد الحريري ونازك الحريري إلخ..)، "كبير جدا ويتسبب بوجع رأس".

بطبيعة الحال، لم تتوقف أعمال الخواجة على لبنان، ومنها مشروع الطاقة بالرياح في عكار، دير عمار، سوليدير، بنك المتوسط، "مشروع القمم"، وهو مشروع يهدف إلى إقامة مجمعات سياحية شبيهة بفقرا والزعرور والأرز في عدد من المرتفعات الجبلية الممتدة من الشمال إلى الجنوب. ثمة أعمال أخرى في بلدان أخرى، عربية وأجنبية.

وإذا سئل الخواجة من القريين أو البعيدين، يكون الجواب واحداً: لست رقيق الحريري الجديد، ولا طموحات سياسية عندي، أنا فقط من جماعة "البنزس". يوحى رجل الأعمال المتعدد الجنسيات بكرهه للسياسة والسياسيين، من لبنان إلى آخر زاوية في الكون.

الأكيد أنه يستطيع "تدوير" السياسة في خدمة الأعمال من خلال منظومة علاقات سياسية، بحيث لا تهمل الأرباح أحدا. هل يمكن تسميتها بغير "منظومة حماية وفساد وإفساد"؟ منظومة تعطي دفعا للسياسة. تفاهمات على الأعمال في باريس تؤدي إلى تسريح ولادة حكومة سعد الحريري بعد شهور طويلة من التكليف والإنتظار. منظومة تتمدد وتجعل الخواجة يطل على باريس من خلال إستحواذه سابقا على "أوجيه انترناشيونال" الفرنسية، فيكون أحد أبرز رجال الأعمال العرب المنخرطين في أعمال مصرفية ونشاطات تمويلية وعقارية وفندقية، كما في مجال التيليكوم والطاقة.

تطرح ظاهرة علاء الخواجة أسئلة لبنانية، خصوصا وأن لبنان عرف هكذا نماذج في الماضي القريب، ومنها، على سبيل المثال لا الحصر، روجيه تمرز، الرجل الذي يوحى بكلماته وملامحه، أنه عائد للنو من إحدى صفحات التاريخ، لكن بفارق أن تمرز كان يمتني نفسه بأدوار سياسية من رئاسة الجمهورية إلى اللعب على خط تماس الدول.

تطرح هذه الظاهرة إشكالية تكاد تخفق الواقع اللبناني بأسره: تاريخيا، هناك أكثر من سلطة في لبنان. سلطة الدولة. سلطة الأمن. سلطة الإعلام. سلطة المال والمصارف إلخ...

الخطورة اليوم أننا نتنقل من مرحلة "السلطة" إلى مرحلة "الديكتاتورية" المقتنعة أو الخفية. رجال أعمال يكاد لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة: علاء الخواجة. جهاد العرب. تيدي وريمون رحمة. طوني فاضل. لو راجعنا سيرة كل واحد من هؤلاء، سنحاول أن نتباهى بأن بينهم "المخترع" و"العدائي" و"العارق" والمقاول الأول في الجمهورية وحتمًا مزية كل هؤلاء أنهم "قامات" عابرة للطوائف والمناطق والأحزاب، وهم بمعظمهم من فئة "متعددي الجنسيات"!

هؤلاء هم الحزب اللبناني الأول، في يومنا هذا. حزب يحرك رجاله من وراء الستارة. لا يترك بصمات. يفوز بالصفقات. لا يحب المنغصات. لا بأس بتوزيع مغانم ومكافآت، ولكل حسب حجمه ونفوذه وتأثيره.

هل هذا لبنان الذي نعرفه ونطمح إليه. إسألوا "غوغل". سيجيب: حتما لا. هذا لبنانهم. أهلا وسهلا بكم في جمهورية ديكتاتورية المال.

من الفن الكرتون



ظلال سلام ان

جمال عبد الناصر لظلال سلمان:

"إزاي شطحاتك؟"

رئيس تحرير «السفير» يغوص في ذاكرته العربية: هل كانت حياتي كذبة؟

مهى زراقت



مع علي ناصر محمد

في الشهور الأربعة الأخيرة من العام 20١6، كنا على موعد أسبوعي مع رئيس تحرير جريدة "السفير" طلال سلمان في إطار التحضير لفيلم وثائقي. ينسحب من مكتبه في الطابق السادس ويوافينا إلى "غرفة الاعترافات" كما أسماها، ليحكي قصة شاب لبناني فقير استطاع تأسيس واحدة من أهم الصحف في الوطن العربي... وقرّر أن يقفلها بعد 43 عامًا. نرحبه بالأسئلة عن الأسباب التي تدفعه ليكون صاحب أول جريدة ورقية عربية تتوقف عن الصدور فيقدّم الكثير من الإجابات،

السياسية، المهنية والمالية. وعندما ينفعل، لا يتردّد في التعبير عن ألم شخصي: "سوريا راحت، العراق راح، مصر راحت، ليبيا راحت، اليمن راح، راح شعاري، جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان. هذا الشعار الذي آمنت به طيلة حياتي، لم يعد صالحًا. الوطن العربي الذي عرفته وآمنت به لم يعد موجودًا. يوجد أكثر من دليل حسي أن عصري انتهى، وعصر السفير انتهى".

فأتج عصر عربي عرف طلال سلمان، حتى بات يشعر اليوم بأن حياته كانت كذبة؟

في 28 أيلول ١970 رحل جمال عبد الناصر.

لا يمكن للحكاية إلا أن تبدأ من هنا. حكاية الزمن الذي كبر فيه طلال سلمان وشكل وعيه. زمن شهد صعود زعيم يجسّد أحلامًا جامعة للشعوب العربية، ثم غيابه مخلّفًا مشاريع صغيرة لحكام لم يكن لهم حضور إلا في ظلّه. بين الصعود والغياب، كان طلال سلمان، الصحفي

العشريني، شاهدًا على الكثير من المحطات المؤسسة لواقعنا العربي اليوم. يحكي عن مرحلة كانت العروبة فيها مصدر زهو وفخر، ليؤكد أنها ممكنة وتحققت فعلاً. يحكي عن تحوّل العروبة إلى نكتة تضحك من يسمعها في زمن الحروب المتنقلة والهويات القائلة.

مع رحيل عبد الناصر، ولد عالم ثان. دار التاريخ دورة كاملة، يمكننا أن نعرفها إذا استمعنا إلى طلال سلمان يحكي عمّا قبل هذا الرحيل المفاجئ، وما بعده.

شيخ مشايخ العرب

كان طلال سلمان، المراسل العربي في مجلة الصياد، يسهر عند أصدقائه مساء 28 أيلول ١97٥. قرابة الساعة التاسعة ليلا، سمع الساهرون صوتًا في الشارع، ثم راحت الأصوات ترتفع، وصولا إلى إطلاق الرصاص، قبل أن يعرف الخبر الذي يصفه بالصاعقة: مات عبد الناصر. عاد إلى البيت وبكى، وزوجته كذلك. "أذكر أنني نمت باكراً، أبكر من أي ليلة مضت. إغماء أو هرب. سمّهُ ما شئت". لم تكن هذه حاله وحده "لقد شعر الناس بأنهم أصبحوا أيتامًا برحيل عبد الناصر. كانت صدمة هائلة، لم نستق منها إلا بعد أيام، إلى أن سارت جنازته الفعلية في القاهرة فيما أقيمت مسيرات تشييع رمزية له على امتداد الوطن العربي. ردّ الفعل في لبنان كان هائلًا، بالإضافة إلى التظاهرات والتشييع الرمزي، الحشود التي أقت السفارة المصرية يومها قد تكون من أكبر الحشود في تاريخ هذا البلد. كلّ قرية تقريبًا أقامت له جنازة". يضرب سلمان مثلًا "مزرعة بيت شحادي" الكائنة فوق بلدته شمسطار: "أهلها رعاة ماعز، فقراء وبسيطون، حملوا تابوتًا وضعوا فيه بعض الأحجار وساروا به إلى شمسطار، المدينة بالنسبة إليهم. ارتدت النساء اللون الأسود، ووضع الرجال الكوفيه السوداء علامة الحزن".

لا يناقش سلمان كثيرًا نظرية موت عبد الناصر مسمومًا إذ "لا دليل حسيًا" على الأمر، لكن برأيه هناك ما هو أخطر من ذلك "كان مريضًا، وكان الروس يريدونه أن يتعالج عندهم ونصحه الأطباء بالراحة لأنه كان معروفًا أنه سيמות إذا أرهق كثيرًا. القمة التي عقدها من أجل معالجة مذابح أيلول الأسود في الأردن أنهكته. بقي ثلاثة إلى أربعة أيام بلا نوم تقريبًا، بالتأكيد هذه القمة كانت من بين الأسباب التي سرّعت وفاته". يتذكر سلمان كلّ ما كتب بعد وفاة عبد الناصر لا سيما ما كتبه محمد حسنين هيكل من وصف تفصيلي "لأنّه كان عنده في البيت. يذكر أن عبد الناصر عاد من وداع أمير الكويت في المطار وكان يشعر بتعب وإرهاق شديدين جدًّا. بعد فترة بسيطة، دخلوا إلى غرفته، فوجدوه ميتًا".

عندما استيقظ سلمان في صباح اليوم التالي لإعلان الوفاة، شعر بأن محور الكرة الأرضية انكسر. كيف لا، وقد رحلت "أكبر شخصية عرفناها في المنطقة في القرن الأخير، لقد رأيت

أثره في الجزائر، في المغرب، في ليبيا، بالإضافة إلى لبنان وسوريا والعراق واليمن". يروي حكاية عن لسان الكاتب المغربي الراحل الباهي محمد أنه كان في الدار البيضاء، وكان عبد الناصر متجّهًا إليها بالباخرة: "التقى الباهي محمد بشيخ قبيلته وهو من الصحراء المغربية، فسلم عليه وسأله عمّا يفعل، فأجابهُ أنه قدم لرؤية عبدالناصر. سأله: وماذا تريد منه؟ أجاب: أشكو له نقص الماء عندنا في الصحراء. قال الباهي: وما علاقة عبد الناصر بالماء؟ فأجابهُ الشيخ: كيف لا تكون له علاقة؟ أليس هو شيخ مشايخ العرب؟ أي أنه كان هناك إحساس بأن عبد الناصر مسؤول عن الأمة كلها. لقد ساد هذا الانطباع على المستوى الشعبي، وجنازته أكّدت هذا الأمر".

انتظر شيخ قبيلة من الصحراء المغربية

وصول عبد الناصر إلى الدار البيضاء بالباخرة

ليشكو له نقص الماء في قريته

برحيل عبد الناصر، انطوت صفحة كاملة من تاريخ الأمة، وفتحت صفحات جديدة. كلّ شخص صار يكتب صفحة على خاطره بعدما ذهب الكبير. ذهب القائد الذي كان يشعر الجميع بأنهم غير قادرين على التصرف من دونه. بدأ الصغار يكبرون وكلّ من كان لديه مشروع آخر، أخرجه".

لقاء عبد الناصر

قبل ولادة هذه المشاريع التي سنأتى على ذكرها في الحلقات المقبلة، وقبل رحيل عبد الناصر بنحو ١2 سنة، كان طلال سلمان قد بدأ عمله الصحفي. بداياته كانت في جريدة النضال ثم الشرق، التي انتقل منها سريعًا إلى مجلة الحوادث حيث عمل مع سليم اللوزي، الناصري الهوى. تزامن عمله في الحوادث مع إعلان الجمهورية العربية المتحدة في شباط/ فبراير ١958، وزيارة عبد الناصر إلى سوريا. أخبرهم اللوزي أن فريق عمل المجلة سيذهب معه إلى دمشق لإلقاء التحية على الزعيم المصري. خبر أفرح سلمان كثيرًا، فقد كان عبد الناصر بالنسبة إليه "الزعيم المرتجى الذي انتظره العرب من بعد النبي محمد. كانت علاقة الجماهير به خرافية، أسطورية. رجل حقق لك أسمى الأحلام التي تحملها: الوحدة العربية. إ فشل العدوان الثلاثي، بناء السد العالي. بعد فشل العدوان الثلاثي، اكتشف العرب أنفسهم. أتذكر مثلًا حادثة عن باخرة مغربية رفض عمّال الميناء في نيويورك إفرأغ حملاتها. أضرب كلّ عمال النقل في الوطن العربي احتجاجًا. كان هناك شعور بأن العرب اكتشفوا أنفسهم أمة واحدة".

استعدّ سلمان للزيارة، بعدما أخبر والديه اللذين بكيا فرحًا. "الجاكيت التي ارتديتها يومها كنت قد اشتريتها من زوج عمتي الذي كان يعرض بضاعته على باب أحد المحال في سوق سرسق، إذ كان أصحاب المحال يؤجّرون الأبواب في حينه، ووضعت "قلم البيك" في الجيبة الخارجية"، يقول ضاحكًا وهو يطلب منا رؤية القلم في الصورة التي تجمعه بعبد الناصر مسلمًا عليه باليد. تحققت هذه المصافحة لأن سليم اللوزي كان قد ربّّ الزيارة، وسلم أسماءهم مسبقًا إلى القيمين على الرحلة، ما أتاح لهم المرور بين الحشود المخيفة لكثرتها" أمضى الناس ليلتهم على الأرصفة ليستيقظوا صباحًا ويكونوا أول من يرى عبد الناصر، الشرفات محجوزة، سطوح البنائيات المجاورة كلها محجوزة. البشر نمل. نمل. شيء لا يمكنكم أن تتخيلوه إذا لم تروه. أعتقد أن نصف لبنان حجّ إلى الشام. على الأقل النصف، في السيارات، في الباصات، في الشاحنات وبعضهم ذهب سيرًا على الأقدام".

برفقة الشرطة العسكرية، وصل الزوّار إلى بوابة قصر الضيافة. "أتذكر منظرًا لا أنساه، فعتان تسلفتا سور القصر الحديدي وإحادهما كادت ترمي بنفسها من أعلاه لتصل إلى عبد الناصر. اضطرت الشرطة العسكرية إلى حملها، وأشار عبد الناصر بالسماح لها بالصعود. كانت حالات من الجنون. حبّ جارف. شيء خيالي".

عندما دخلوا إلى قصر الضيافة وقفوا في صفّ طويل ليسلموا تياتًا على أكبر قائد في المنطقة. "كنا في الطابور، سليم اللوزي وشفيق الحوت وأحمد شومان ونيازي جلول رسام الكاريكاتير وأنا ومحام اسمه جوزف خوري. عندما وصل دورنا،



طلال سلمان



صار سليم اللوزي يعزّفه علينا، وهو يجمال كلّ منا بعبارة، لكنه تحدّث مع أحمد شومان عن معرفة. ربّح بنا بود، ونحن كنا مبهورين أننا نسلمّ عليه. قال لي: "إزاي شطحاتك"، إذ أنني كنت أكتب زاوية اسمها شطحة في المجلة. فرحت كثيرًا. هذه الجملة أعيش عليها سنة كاملة من دون طعام. سلّمنا وخلصنا وبدنا نمشي، فقلت لشفيق الحوت ما رأيك لو نرجع ونسلمّ مرة ثانية؟ انتبه عبد الناصر إلى أنه سبق له وسلّم علينا، فضحك وقال أهلاً وسهلاً".

السجن والانفصال

بعد نحو ثلاث سنوات، في أيلول/ سبتمبر ١96١، حصل الانفصال بين مصر وسوريا. كان سلمان قد انتقل إلى مجلة الأحد... ومنها إلى السجن. حادثة مفصلية حفرت عميقًا في ذاكرة الصحفي الشاب، الذي سجن ظلّمًا. كانت التهمة التي وجهت إليه مساعدة مندوب الثورة الجزائرية في لبنان أحمد الصغير جابر. "كان شابًا لطيفًا، استطاع أن يخترق كل الصقوف السياسية والصحافية في البلد، ويقيم علاقة ودية مع الجميع حتى المعارضين للثورة. ونتيجة ترّدّه المستمر على المجلة والحديث المتواصل عن الثورة وأبطالها، صرنا صديقين". وفي أحد الأيام، طلب منه جابر أن يحتفظ له بحقيبة في منزله لأنه يريد الإقامة خارج بيروت بسبب وضعه الصحي. وافق سلمان على الاحتفاظ بحقيبة وآلة للطباعة، سنل عنهما بعد نحو ثلاثة أيام من قبل ثلاثة رجال قرعوا بابه فجّرًا واصطحبوه إلى المديرية العامة للأمن العام، وخضع لتحقيق قاس عن علاقته بجابر. "متى تعرّفت عليه؟ كم يدفع لك شهريًا؟ ما هي الوثائق التي أعطاك إياها؟ ما هي الوثائق اللي هزبتها؟ إلخ". لم يكن لدى سلمان ما يخفيه، رغم ذلك بقي موقوفًا نحو تسعة أيام في نظارة الأمن العام. في اليوم التاسع، نقل إلى المحكمة العسكرية، والتقى هناك بالنقابي فؤاد ناصر الدين الذي أخبره عما سيتعرّض له بالتفصيل وعلمه كيف يجب أن يتصرّف. بعد ١2 يومًا، نقل إلى زنزانة إفرادية في سجن الرمل وأمضى فيها ١5 يومًا ثم انتقل إلى "قاووش" يجتمع فيه كل السجناء باختلاف تهمهم. أمضى فيه ستة أيام قبل الحصول على البراءة.

عندما حصل الانفصال بكيت بكاء مرًّا. بكيت

أحلامي وأحلام جيلي. بكيت مرارة الواقع

الذي لا نعرفه كفاية ولا نفهمه كفاية ولسنا

مستعدين له كفاية

خلال هذه الفترة، حصل أمر كبير لم يكن أقلّ قسوة على الصحفي الشاب من قسوة سجنه مظلومًا: إعلان الانفصال بين مصر وسوريا. "سمعتنا الخبر بالتواتر. كان يومًا حزينًا جدًّا. نسيت همي الشخصي ورحت أفكر بأحلامي. حلمي بأن هذا الوطن سيتوحد. سنصبح أمة هائلة. سوف نتنصر على اسرائيل. جاء الانفصال وكأنه ضربة على الرأس. اكتملت المأساة. مأساتك الشخصية توجّبت بالمأساة العامة. كانت أشد عليّ من سجنني. إذا انضرب حملك الأكبر، الأعظم، الأسمى، ما هي قيمة سجنك. هناك كارثة كبرى حلّت وسوف تتغير لك تاريخك كله. بكيت. بكيت بكاء حقيقياً، مرًا. بكيت عمري بكيت أحلامي وأحلام جيلي. بكيت مرارة الواقع الذي لا نعرفه كفاية ولا نفهمه كفاية ولسنا مستعدين له كفاية".

لكن بكاء حارًّا من نوع آخر سيجد طريقه إلى عيني سلمان بعد وقت قصير نسبيًا.

استقلال الجزائر

في تموز/ يوليو ١962 أعلن استقلال الجزائر التي حكمها الاستعمار الفرنسي ١32 عامًا. كان طلال سلمان يستعدّ للسفر إلى الكويت للعمل فيها: "كان يجب أن أكون في الكويت في شهر تشرين الأول/ أكتوبر، وكانت الجزائر تعدّ لانتخاب أوّل رئيس وأوّل مجلس نواب لها في شهر أيلول/ سبتمبر. لذا اشترطت أن أزور الجزائر قبل الالتحاق بعلمي وهكذا كان".

كانت الجزائر مائة الكون يومها "يعني هناك نضالها الطويل على مدى ١30 سنة، وصولًا إلى حرب الاستقلال التي خاض خلالها الشعب الجزائري مقاومة جدية ابتداء من العام ١954 حتى العام ١960. كانت تحظى بحملة تضامن واسعة في كلّ الدول

العربية على مستوى الشعوب، وكان عبد الناصر يدعمها بثقله، سلاح وإذاعة صوت العرب وعلاقات دولية. إلى المدّ القومي العربي، تضامن العديد من دول آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية معها، وطبعًا هناك مليون شهيد، فكانت النتيجة خضوع فرنسا للعقل والمنطق واتخاذ القرار بالجلاء عن الجزائر".

ذهب سلمان إلى الجزائر عن طريق باريس، فأمضى بضعة أيام في العاصمة الفرنسية بضيافة أحد أبناء بلدته محمد الصليبي. "كان شهر أيلول والطقس بارد هناك فيما كنت أرثدي ثيابًا خفيفة. ذهبتا لشراء معطف من أحد المحلات. بعدما فتشنا بين البضاعة، واخترنا ما نريده، توجهنا إلى صاحب المحل الذي وضع المعطف جانبًا وقال لنا: non merci je ne vend plus (لا أريد البيع)". سكت سلمان، فيما دخل صديقه في نقاش حاد معه، إلى أن قالت زوجته "اتركها وتعالا لعندي. هو يعتقد أنكما جزائريين". فرّذ عليها زوجها: "ل... ناصر ناصر ناصر". قال سلمان لصديقه: "فلنخرج، لا أريد أن أشتري". خرجا من المحل "وكنت أشعر بأني أطول من برج إيفل. لا يريد أن يبيعتي المعطف نكاية بعبد الناصر. إلى هذا الحد كان يغيظهم".

رفض الفرنسي بيع معطف لسلمان لأنه اعتقده مصرياً وراح يقول بغضب: ناصر ناصر ناصر

في الطائرة من باريس إلى الجزائر، جلس إلى جانبه شاب جزائري، يتحدث بخليلط فرنسي-عربي ويكرر كلمة الديموقراطية، ويشكو افتقار الجزائر إليها. كان لسان حال سلمان: "طيب انتظر ولادة الدولة قليلاً". لكن عند الوصول إلى سماء الجزائر، بدأ الجزائري يبكي لرؤية البحر، ولم يعرف كيف ينزل الدرج، وعندما وصل إلى الأرض صار يرفغ التراب ويقبله.

مع بوحيرد وبن بلة

في الجزائر، حضر سلمان افتتاح أول برلمان في تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، وانتخاب رئيسها الأول. "وقفنا في الخارج نراقب النواب. كان مشهدًا لا مثيل له في التاريخ. كلهم تقريبًا كانوا مصابين. منهم من قدم مستعنيًا بالعكازات، منهم من كان بلا قدم، بلا قدمين، من دون عين، من دون يد. مناصلون وثؤار، نادر بينهم من كان سليماً". عندما افتتحت الجلسة "كان الجميع يبكي تقريبًا. أتذكر أننا لمحنا المناضلة جميلة بو حيرد التي كانت رمزًا كبيرًا لنا. هربت منا وكانت تضع نظارات سوداء على عينيها. اقترب منها صديق شنشل (زعيم عراقي التقى به سلمان في الجزائر)، باعتباره أكبرنا سنًا وقال لها: يا بنيتي، أنا زي والدك، زي عمك، اسمحي لي فقط أن أقبّل يدك. فأجابته: أنا لست جميلة يا عمّ. لست جميلة".

بدأت الجلسة بانتخاب هيئة المكتب، ورئيس المجلس، وبعدها رئيس الجمهورية أحمد بن بلة. يذكر سلمان موقفًا يكرزه حرفيًا: "وقف أحد من النواب وقال تواخرونيش خويا ترى ما ندرش العربية (لا نحكي العربية)، ندرش جزائري (نحكي جزائري)، ل حين سي أحمد بن بلة هو البريزدان (الرئيس)، ونحن نعرف أحمد بن بلة واللهي ما عندوش إلا كسوة واحدة وأنا عندي واحد suggestion، فشرح زميل إنّ لديه اقتراح. تابع الأول، عندي اقتراح نصرفو ل سي احمد بن بلة ثمن كسوتين (بدلتين)، وبالفعل صوّت مجلس النواب الجزائري على صرف ثمن بدلتين لأحمد بن بلة. طبقًا أنا شخصيًا غرقت في البكاء. كل شيء كان مؤثرًا. شيء تاريخي. شيء لا تراه إلا مرة واحدة



مع ياسر عرفات



مع جورج حبش



مع حافظ الأسد



الأخضر الإبراهيمي في السفير



مع معمر القذافي

في حياتك".

بعد يومين أو ثلاثة، استطاع سلمان لقاء بن بلةً "لكنها كانت مقابلة سريعة، كان الحديث خليطًا بين العربية والفرنسية وكانت عربيته ضعيفة جدًّا، تحسّنت لاحقًا، خلال سجنه أعتقد. حفظ القرآن كلّه وقتها". والتقى هناك أيضًا هواري بو مدّين. كما طلب زيارة المناطق التي يعيش فيها البربر، فتوجه إلى مدينة تيزي أوزو، حيث وجد صعوبة في التفاهم مع أهلها بالعربية "أمضيت ليلة عجزت فيها عن إقامة حوار جدي معهم لذا لم أكوّن أكثر من انطباعات في هذه الزيارة".

"آكو ثورة في اليمن"

في العام 1962، أي في عمّ الحلم العربي، كان المطلوب معرفة المزيد عن هذا البلد الذي قدّم مليون شهيد وسار الملايين في شوارع الدول العربية دعمًا له. يقول سلمان: "المشكلة الأساسية بالنسبة إلى الجزائريين كانت أنهم لا يتقنون العربية. لغة التعامل اليومية هي إما الجزائرية، وهي عبارة عن عربية مكسّرة مختلطة بالفرنسية، وإما الفرنسية. كلّ المتعلّمين كانوا يتحدّثون بالفرنسية، ولم تكن العربية مألوفة عندهم لذا كانت لدينا صعوبة في إقامة حوار جدي". كان الأمر مربكًا بالنسبة إلى شخص يعتبر أنه ذاهب إلى الجزائر ليُدلّ إلى عربيتها "إذاذا حكيت مع أحدهم بالفرنسية لن تكون مرتاحًا، أنت يصعب عليك تقبّل الأمر وهو يصعب عليه أن يعبّر تمامًا عن نفسه باللغة العربية. لكننا حاولنا بالقدر المتاح أن نفعل مثلهم، أن نخلط في كلامنا حتى يتحقق حد أدنى من التواصل". لم يكن الموضوع لطيفًا بالنسبة إليه "لأن النظرة إلى قضية الجزائر كانت على أنها قضية تحزّر وطني، في حين لم يكن الأمر كذلك بالنسبة إلى الجزائري. أتذكر أننا التقينا بأحد أركان جبهة التحرير حسين آية أحمد، الذي كان واحدًا من القياديين الخمسة الذين اختطفتهم فرنسا وسجنتهم. آية أحمد من زعماء البربر، وهذا أمر عرفناه لاحقًا، وكذلك كريم بلقاسم. في ذلك الوقت لم تكن قضية العرب والبربر مطروحة، ربما كانت مطروحة في السياسة ولكن ليس بالحياة اليومية، وكانت لها حلول كثيرة. يعني الجزائر بلد يضم قوميتين، ونتيجة الدعم العربي للثورة طغت القومية العربية فصرنا نفترض أنهم عرب حصريًا".

خلال وجوده في الجزائر، تلقى سلمان اتصالًا من صديق عراقي، قال له بصوت متهدّج: "عيني ما تدري، ما تدري، آكو

(هناك) ثورة في اليمن آكو ثورة في اليمن" وصار يبكي.

الاحتفال باستقلال الجزائر، واندلاع ثورة في اليمن ضد حكم الإمامة، أمران شكلا تعويضًا كبيرًا عن الانفصال "إذا بدك كقوميين عرب بشكل ما كان هناك نوع من الرضا. يعني صحيح صار انفصال لكن الحلم مستمر. الثورة في الجزائر تنتصر، وبينما أنت تحتفل بها تحصل ثورة في اليمن. كان لدينا شعور بأن جيلنا يغيّر التاريخ. يغيّر تاريخ المنطقة كلها. كانت الجزائر آخر بلد خاضع للاستعمار، وها هي تحزّر. شيء في الأحلام، صحيح راح مليون شهيد بس بتحس إنو راحوا بالمحلّ الصح".

مع اندلاع الثورة في اليمن أرسل عبدالناصر قوات لمناصرتها واستعاد الكثير من شعبيته في حينه... التي سهّزت مجددًا مع هزيمة العام 1967.

نكسة 1967

يربط طلال سلمان الحديث عن نكسة العام 1967 بحرب اليمن "التي أنهكت الجيش المصري وكشفت عن عورات كبيرة فيه". وإلا، فإن العرب كانوا متحمّسين للحرب ومتمكدين من القدرة على الانتصار. فقد كانت المنطقة تعيش أجواء

الحرب بعد قرار عبد الناصر سحب قوات الطوارئء الدولية من مصر، وهي القوات التي أرسلت إلى مصر بعد العدوان الثلاثي عليها في العام 1956. "كنا سعداء لأننا نحن من اتخذ القرار بأن تخرج قوات الطوارئء، وكنا نعتقد أنّ كل شيء جاهز في حال زيارة المناطق التي يعيش فيها البربر، في ذلك اليوم، كان الجميع أميلٌ لتصديق ما تقوله القاهرة عبر صوت العرب، ولم تظهر الفجبة كاملة إلا في اليوم التالي، "عندما لم ينجح المشير عبد الحكيم عامر في تفقد عسكره لأنه لم يجد مطارًا بعدما ضربت إسرائيل معظم المطارات في سيناء". حلّ الوجود على وجوه الناس وعمّ الشعور بالخسارة، الشعور بكارثة جديدة.

صوّت مجلس النواب الجزائري في أول جلسة له بعد إعلان الاستقلال

على شراء بدلتين للرئيس أحمد

بن بلة

كان سلمان قد عاد إلى لبنان وعمل في مجلة "الحرية". من أبرز الأشياء التي يتذكرها "بل وكنت متسببًا فيها، هي غلاف المجلة الذي كتبت عنوانه بيدي "كلا، لم يخطيء عبدالناصر"، وفي المضمون أضفت أن العرب لم يُهزّموا وأنها حرب مفتوحة ضد إسرائيل. طبعًا كتبت ووافق الشبيبة لأننا كنا نحبّ أن تصدّق ذلك، لكننا إلى حدّ كبير كنا قد عرفنا أن الأمور ليست كذلك، واتضح الصورة بعد أيام وأطلّ عبد الناصر في خطابه الشهير الذي اعترف فيه بأنه المسؤول عن النكسة وقدّم استقالته. هذه الاستقالة أشعرت الناس بأن هناك نكسة ثانية، فنزلت الجماهير إلى الشوارع في كلّ مكان، وفي مصر بشكل خاص، رافضة تحميله المسؤولية. ونجّحت الاتهامات كلها إلى عبدالحكيم عامر ومن معه، واعتقلوا خصوصًا أن هناك حسابات قديمة مع عامر، ترتبط بمواقفه خلال الوحدة مع سوريا وبأدائه خلال حرب اليمن. تجربتان أثبتتا عدم كفاءته وعدم أهليته. لكن أداءه في العام 67 شكّل الضربة القاضية، التي لم تقضّ على عبدالحكيم عامر بل على جيش مصر".

صورة عبد الناصر تستعيد بريقتها

على الصعيد الشخصي، كان سلمان سعيدًا مع بدء الحرب، لأنه اعتبر أن الساعة حانت أخيرًا لكي يتحقق الانتصار على إسرائيل. لكنه شعور لم يستمر طويلًا. في الأيام التي تلت 5 حزيران "طغى الشعور بالخيبة، بالمرارة، بانكسار الأحلام ولم يبق إلا شيء واحد: الأمل بشخص عبد الناصر. عبد الناصر الذي كان كبيرًا إلى درجة أن هزيمة من هذا النوع لم تستقطه. قائد تاريخي، أُنسس لوحدة مع سوريا، واجه في العام 1956، أمم قناة السويس، له سجّل من الإنجازات في ظلّ خنوع عربي، وقوى استعمارية موجودة في معظم أرجاء الوطن العربي". برغم ذلك، هزّت النكسة صورته: "صار يقال إنه يخطيءء. هذا الكلام لم يكن يقال سابقًا، كانت الأخطاء تنسب لأخرين وليس له. لكن على الرغم من أنه يخطئ، طولب بتصحيح الخطأ. يخطيء لكنه يبقى القائد. تنحى جمال عبدالناصر وقالوا له لا تتنح، ابقِ ابقِ. أنت المسؤول عن الهزيمة، أنت كفّر عنها. كان عبدالناصر كبيرًا، وحتى



مع أحمد بن بلة



مع الخميني



مع هبكل



مع عبدالله بن عبد العزيز



مع المطران هيلاريون كوجي

لو سجّلت عليه خطأ ستحاول أن تجد له تبريرًا خصوصًا أنه قال "راجعين على المعركة". كما أنّ هيئة الشعب المصري ومطالبيته بالبقاء عزّزت هذا الأمر، هذا اليقين أنه لا يزال مؤهلًا لأن يريح ولو كانت الخسارة كبيرة. كان الأمل لا يزال معقودًا على مصر، ولم يكن أحد يقدر على التخيل أن هناك حربًا مع إسرائيل من دون مصر. فبالتالي مصر سوف تردّ على الهزيمة بالتأكيد".

وبالفعل، في الشهور التي تلت، بدأ الجيش المصري استعداداته لحرب جديدة، وحقق عددًا من الإنجازات من خلال عدد من الضربات التي قام بها، مثل استهداف بارجة اسمها ايلات وغيرها، ما دلّ على أنه قادر على المبادرة. بعدها بدأت حرب الاستنزاف وبدأ الجيش المصري يقف على قدميه مجددًا. في هذه الفترة، كان سلمان قد عاد للعمل في مجلة الحوادث، وبعد أقلّ من سنة على الهزيمة زار القاهرة والتقى بشبّان من الذين استقرّتهم النكسة فانخرطوا في الجيش من مهندسين وأطباء وجامعيين، إلخ. "انتسبت نوعية جديدة إلى الجيش المصري الذي صار هدفه الأساسي تعويض الهزيمة وتحقيق النصر. روح جديدة دخلت إلى الجيش، روح تشعر بأنها هُزمت من دون وجه حق، وهُزمت هزيمة أكبر مما تستحق". تكوّن لديه شعور بأن "الجيش المصري المترهل راح، وصار هناك جيل كامل من الشباب في الجيش. اختلفت أشياء كثيرة، من التدريب بداية، ثم التحصين، وبعدها بدأت حرب الاستنزاف التي امتدت سنتين على الأقل".

بين عامي 67 و70 استعادت صورة عبدالناصر بريقتها، بعدما استطاع إعادة بناء الجيش، وتوجّه أكثر من مرة إلى الجبهة على الرغم من مرضه وتحذيرات الأطباء له، وعادت الانتصارات تتحقق، فلمعت في حينه أسماء عدد من الابطال مثل عبدالمنعم رياض الذي ستشهد خلال حرب الاستنزاف، يعني كان هناك بطل، ولحقه أبطال آخرون. كلّ هذا أحيا الأمل بأن هناك ضباطًا متميزين يقومون بإعادة مختلف في انتظار العودة.

الوضع العربي ينقلب

هذه القراءة لما حصل ليست ناتجة فقط عن اعتراف سلمان بأنه لا يستطيع أن يكون محايدًا عندما يحكي عن عبد الناصر "لأني كنت معجبًا به إيجابًا عظيمًا كما معظم أبناء جيلي، كما أن فجيعتي كانت كبيرة في عام 1967، لكنه بسرعة عاد وقال لي لا أزال هنا وأنا قادر. لولا أن وفاته في العام 7٥ شكّلت نهاية لأشياء كثيرة".

مع الهزيمة، ثم مع رحيل عبد الناصر، استفاد كلّ القادة العرب الآخرين وبدأت ترسم خريطة جديدة في المنطقة العربية بشكل كامل. برز صدام حسين في العراق بعد عودة البعثيين إلى الحكم في العام 1968. وفي العام 1969 ظهر معمر القذافي مع اندلاع الثورة في ليبيا، واستلم حافظ الأسد السلطة في سوريا بعد وفاة عبد الناصر بشهرين. حصلت تطوّرات كبيرة في المنطقة، قد لا تكون كلها نتيجة الهزيمة بشكل مباشر، لكن الوضع العربي تحرك وصار مختلفًا عن الذي كان سائدًا. سابقًا كان هناك تسليم مطلق لقيادة عبد الناصر، والذين كانوا ضده أو ينتقدونه لم يكونوا يتجرّأون على مواجهة الناس. لكنّ مع رحيله، كلّ شيء اختلف. دار التاريخ دورة كاملة.

هذا النص هو جزء من مجموعة نصوص كتبها الزميلّة مهى زراقت وينشرها موقع 18٥ وتتضمن رواية رئيس تحرير السفير طلال سلمان لتجربته مع عدد من الشخصيات العربية.

بين تركيا وروسيا.. أكثر من "أس-٤٠٠"

وسام متي

التركية - الأميركية من جهة أخرى، حين أعلنت وزارة الدفاع التركية عن تسلّم الأجزاء الأولى من نظام الدفاع الصاروخي "إس-400"، ما مثل تحديًا تركيا واضحًا للتهديدات الأميركية بفرض عقوبات على أنقرة بسبب هذه الصفقة التاريخية، بما يشمل احتمال استبعادها من برنامج المقاتلات "أف-35".

الحجة الأميركية، وإن كانت تقنية في ظاهرها، إلا أنها، في طابعها السياسي، أعمق بكثير من مجرد القول إن نظام "إس-400" لا يتناسب مع شبكة حلف شمال الأطلسي الدفاعية، وأنه قد يعرض المقاتلات "الشبح" من طراز "إف-35" للخطر، فالتداعيات الاستراتيجية للصفقة العسكرية، وهي الأولى من نوعها بين روسيا وعضو في حلف "الناتو"، أهم بكثير، وهي تعزز مخاوف الغربيين من أن تركيا بدأت تجرّف بالفعل إلى مجال النفوذ الروسي.

ثمة حاجة إلى فهم السياق السياسي لما يجري. خلال السنوات الماضية، اتخذت العلاقات بين الولايات المتحدة وتركيا مسارًا اندراريًا متدرجًا، تبدّى في الانقسامات الكبيرة بين الجانبين حول قضايا عدّة، وقد طفت إلى العلن، وبشكل حاد، حين طالب رجب طيب أردوغان بتسليم الداعية الإسلامي فتح الله غولين المقيم في ولاية بنسلفانيا، والمتهم بالوقوف وراء الانقلاب العسكري الفاشل في تركيا في صيف العام 2016.

مع ذلك، فإن التوترات الأخيرة لا تشكل في الواقع أكثر من رأس جبل الجليد في العلاقات التركية - الأميركية، فالخلافات أقدم قليلًا، والحلفاء المفترضون باتوا على تناقض متزايد تجاه الكثير من القضايا الإقليمية، وإن كان ما يزال ثمة اعتقاد واسع النطاق بين صانعي السياسة وخبراء الأمن القومي في الولايات المتحدة بأن النخبة الأمنية القومية التركية تواصل النظر إلى الولايات المتحدة كحليف لا غنى عنه، برغم كل إرهابات التجارب السابقة.

لكنّ ما يعتبر في الولايات المتحدة "بديهيات" تناقضه الواقع على الأرض، فأردوغان يبدو أكثر استعدادًا اليوم للمخاطرة بالشراكة القائمة في مشروع "أف-35"، الذي يمثل حجر الزاوية في التخطيط لمستقبل قواتها الجوية، وقد فضّل المضي قدمًا في الحصول على منظومة "أس-400"، بما تمثله من إمكانات جديدة لبلاذ، خصوصًا أن هذه المنظومة الدفاعية مصممة لهزيمة تكنولوجيا التسلسل الأميركية، ومن هنا يأتي شعور الولايات المتحدة بالقلق من إمكانية استخدامها لجمع معلومات استخباراتية قيّمة قد تجد طريقها إلى روسيا.

على المستوى الاستراتيجي، يمثل خيار أردوغان بشراء منظومة "أس-400" رسالة واضحة، مفادها أنّ تركيا قد تكون مستعدة، في وقت ما، للتخلي عن العلاقات التاريخية مع واشنطن لصالح علاقات عصرية مع موسكو.

ومن خلال تبني سياسة خارجية أكثر توازنًا، يسعى أردوغان إلى تعزيز مفهوم جديد لمصالح تركيا الوطنية، تقوم على إمكانية التعاون بشكل أوثق مع روسيا في الملفات السياسية والعسكرية والاقتصادية.

صحيح أن ذلك لن يقود بالضرورة إلى تموضع تركي حاسم في المعسكر الروسي على حساب الولايات المتحدة، وهي مسألة جوهرية في تحديد شكل العلاقات الدولية بين الغرب والشرق، إلا أنه يشي بأنّ تركيا لم تعد تنظر إلى الولايات المتحدة كحليف لا غنى عنه.

مشهد متحوّل

يمكن النظر إلى هذا النهج التركي انطلاقًا من متغيرات العصر. في الأصل، نشأ التحالف الأمريكي - التركي بسبب المخاوف المشتركة بشأن التوسع السوفيياتي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ولعل قرب تركيا الجغرافي من الاتحاد السوفيياتي جعلها "الشريك المثالي" للجهود الأميركية لمراقبة خصمها في مرحلة الحرب الباردة، واكتساب نقطة ارتكاز في حالة اندلاع الحرب الساخنة. ولهذا الغرض، تلقت تركيا ضمانات أمنية من الولايات المتحدة، تضمنت نشر أسلحة نووية على الأراضي التركية، لمواجهة أي هجوم سوفيياتي محتمل.

لكن طوال العقود الثلاثة التي انقضت منذ نهاية الحرب الباردة، وبالتالي زوال "البعبع" السوفيياتي، واجهت الولايات المتحدة وتركيا صعوبات كبير في تحديد المصالح المشتركة.

في الواقع، كانت البداية في اختلاف الأجدات بين الجانبين، غداة الغزو الأمريكي للعراق في العام 2003، الذي انتج فراغًا في السلطة، بسقوط نظام صدام حسين، ملأته الولايات المتحدة جزئيًا بإقامة كيان كردي في شمال العراق، ما أثار مخاوف نخبة الأمن القومي التركية التي تعتبر القومية الكردية "تهديدًا وجوديًا".

ساءت الأمور أكثر فأكثر مع بدء الحرب في سوريا، حين سعت تركيا إلى ضرب الأكراد السوريين، بعدما عجزت عن احتوائهم، حيث استخدمت ضدّهم ورقة الفئات الأكثر تشددًا من الجماعات الإسلامية، مثل "جبهة النصرة" و"داعش" (معركة كوباني نموذجًا)، ولكنها

جبر علوان - العراق

دخلت في الوقت ذاته في تناقض مع الولايات المتحدة، التي وجدت في الوحدات الكردية شريكًا محليًا فاعلًا في الحرب على الإرهاب.

ومع أن تركيا والولايات المتحدة تشاركتا، بدايةً، مقارنة موحّدة في الصراع السوري، لجهة السعي لاسقاط نظام الرئيس بشار الاسد وضم سوريا إلى "الهلال الاخواني" الذي أريد له أن يمتد من تركيا إلى مصر، إلا أنهما سرعان ما افترقتا، على خلفية الأزمة السورية نفسها، لا سيما بعدما تأكّدت أنقرة من أن واشنطن حددت خياراتها الاستراتيجية في الميدان السوري على حساب مصالح الأمن القومي التركي، في تكرار لتجربة العراق بعد غزو العام 2003.

"ما بعد أميركا"

مع ذلك، لا يمكن اعتبار الحرب السورية عنصرًا وحيّدًا في فهم العلاقات المعقدة بين تركيا والولايات المتحدة، وإن كان الميدان السوري قد شكّل اختبارًا لها، فمنذ سنوات، وتحديداً مع وصول "حزب العدالة والتنمية" إلى الحكم، بدأت مساع حثيثة لتقليص الاعتماد التركي على الولايات المتحدة.

هذه الأطروحة برزت منذ وقت مبكر، وهي سابقة للأزمة السورية، إذ لطالما تحدث منظرو السياسة التركي عن فكرة القيادة التركية للشرق الأوسط في مرحلة ما بعد أميركا، وقد تكثف هذا الحديث، ليتخذ منحى فلسفيًا



جبر علوان - العراق

منذ الانسحاب الاميركي من العراق في العام 2010، وانطلاق مرحلة "الربيع العربي" في العام 2011. ومع أن هذه المقترحات لم تستسغها النخبة العسكرية - الامنية التركية، التي راكمت نفوذها من خلال التحالف مع الولايات المتحدة طيلة عقود، إلا أن التباعد الاستراتيجي في العلاقات التركية - الاميركية، ولا سيما بعد محاولة الانقلاب على اردوغان، جعلت معارضي خيار "الانفصال" عن اميركا أقل امتلائًا للحجة، خصوصًا بعدما اتضحت مخاطر معاداة روسيا، على غرار ما حدث بعد حادثة إسقاط طائرة "سوخوي" الروسية عند الحدود السورية التركية، من جهة، ومخاطر الرهان الكلي على

الولايات المتحدة، لا سيما بعد ما حُكي عن دور أميركي في المحاولة الانقلابية، من جهة ثانية. وفي رحلة البحث عن شركاء اقليمية ودولية جديدة، بدا بالنسبة إلى القيادة التركية أن ثمة عوامل كثيرة تجعل روسيا شريكًا مضمونًا، لاعتبارات اقتصادية وسياسية، وبطيعة الحال جغرافية.

ومن سخرية القدر، أن الحرب السورية التي جمعت تركيا والولايات المتحدة على أهداف مشتركة، هي التي أدّت في نهاية المطاف إلى "فض الشراكة" بينهما، في حين أن الحرب نفسها، التي فوّقت تركيا وروسيا منذ بداياتها، هي التي أطلقت رحلة بناء الشراكة الجديدة، التي تُرجمت في الميدان السوري بمسار أسناتة، بما يشملها من اتفاقات حول مناطق خُفض التصعيد، وتفاهمات على ضرورة الوصول إلى حل سياسي للأزمة السورية،

علاوة على رسم قواعد اشتباك جديدة، سمحت روسيا من خلاله للجيش التركي بتنفيذ عمليات قتالية محدودة لمواجهة "خطر" الأكراد، بشرط عدم المس بالخطوط الحمراء المتصلة بحماية النظام السوري.

ديناميات ومحاذير

برغم كل الديناميات القائمة في العلاقات التركية - الروسية من جهة، والتركية - الاميركية من جهة أخرى، يبقى من الصعب الحديث عن تحالف مؤكد بين أنقرة وواشنطن، بانتظار أن تتبلور أكثر طبيعة التفاهات والاختلافات في الملف السوري، وربما ملفات أخرى.

وفي هذا السياق، لا يمكن غض الطرف عن حقيقة أن العلاقات الروسية - التركية تتسم تارة بالتعاون، وطورًا بالتناقض، لا سيما أن الطموحات الاستراتيجية لدى الجانبين متباينة، وهو ما يؤكده التاريخ بشكل لا لبس فيه، ما يجعل استمرار تعاونهما على المديين المتوسط والبعيد محاطًا بالكثير من الشكوك، وبالتالي فإن تقاطعهما على أهداف موحدة أو متقاربة في الوضع الجيوسياسي في الشرق الأوسط، لا يعني بالضرورة أنهما يسلكان طريق التحالف الرسمي، خصوصًا أن ثمة من ينظر إلى خيارات رجب طيب أردوغان باعتبارها تجسيدًا لبراغماتية تصل إلى حد الانتهازية في إدارة السياسة الخارجية لتركيا، أملًا بتحقيق أفضل المكاسب الممكنة.

١٨٠

خارطة الصراع في شرق الفرات: اللاعبون والدوليون والإقليميون

أحمد الدرزي

سوية المخاطر على وجود الدولة السورية كقوة إقليمية ذات دور فاعل ويهدد نجاحات محور طهران- دمشق في وصل المناطق الممتدة من أفغانستان إلى البحر الأبيض المتوسط، خاصةً وأنّ هذه المنطقة ستبقى سيّفاً مصلاً على هذا الوصل، يتحول شيئاً فشيئاً إلى مشروع استثماري بعيد المدى، وسيبقى في إثره التدخل الأميركي- الإسرائيلي ممتدّاً إلى زمن طويل إذا لم تتغير فيه معادلات القوة لصالح القوى الصاعدة.

القوى الدولية الفاعلة

1 - الفاعل الأميركي، حيث تعتبر الولايات المتحدة هذه المنطقة بمثابة منصّة استراتيجية جديدة تطل منها على مستقبل النظام الدولي، فهي تتيح تحقيق جملة من المكاسب في المواجهة القائمة مع ثلاثة مشاريع متداخلة ومتقاطعة، أولها "المشروع الأوراسي" الذي ينظر إلى كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا كمكونات أساسية للربط بين البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي والمحيط الهندي، ويليه "المشروع الصيني" الساعي لإحياء طريق الحرير وصولاً إلى أوروبا، سعيًا وراء إعادة دورها على غرار ما كان في العالم القديم حيث تكون فيه الصين مركز الاقتصاد العالمي، والذي لا يمكنه النجاح إذا لم يتوفر الاستقرار في هذه الدول الأربع. أما ثالث المشاريع، فهو مشروع "طهران –دمشق" الذي يعمل على تثبيت إنجازاته، والربط بين أفغانستان وكامل المناطق الممتدة إلى البحر الأبيض المتوسط، ويشكل امتدادً عمليًا لطريق الحرير الصيني.

ولا يوجد خير من الكرد ككتلة شعبية كبيرة يمكن الاعتماد عليها، لمنع المشاريع الثلاثة من النجاح، إذ تعتبر هذه الكتلة الشعبية جزءًا أصيلًا من نسيج المنطقة. وإذا ما استطاعت الولايات المتحدة أن تستحوذ على القرار الكردي، فإن ذلك سيقوّض المشاريع الثلاثة بحكم التموضع الجغرافي لهم، وبما يتيح دورًا جيو- سياسيًا كبيرًا . ولا يجوز إغفال أن أحد العناصر المحددة هو حسم الصراع الداخلي مستقبلا بين ترامب ورؤيته(تحظى بدعم أغلبية الناخبين الأميركيين) وبين ما تعرف بدولة الأمن القومي في الولايات المتحدة التي تشبّث بالوجود الأميركي في المنطقة ومن ضمنها شرق الفرات، وهذه "الدولة" حالت دون تنفيذ ترامب قراره بالإسحاب أكثر من مرة.

2 - الفاعل الروسي، الذي أسس لمجموعة منطقات و بتصورات جديدة تعوّض عن انهيار الاتحاد السوفياتي، وبناء منظومة دولية جديدة، تعتمد على علاقات التعاون كبديل لسياسة الهيمنة، وتشكل فيه روسيا قلب هذا العالم الجديد القديم، ولذلك فإن سياساتها تعتمد على إزاحة الولايات المتحدة من كل المناطق التي تعتبرها مجالاً حيويًا لها، والحلول مكانها في إدارتها. وتعتبر منطقة غرب آسيا أهم مجال حيوي لها، وخاصةً مرجع تركيا وإيران وسوريا والعراق، ولذلك، فإنها تتعامل مع ملف شرق الفرات

الإيرانية في مجمل التحولات السياسية عبر تاريخ المنطقة، وهو يسعى لتحقيق أمنه القومي بمد نفوذه إلى البحر الأبيض المتوسط، إدراكًا منه لمسألة أن وجوده القومي المتنوع معرض للتهديد، وخاصةً بعدما أخذ توجّهًا استقلالياً معاديًا للهيمنة الغربية، وهو يعتبر منطقة شرق الفرات تهديدًا له على مستويين:

المستوى الأول: الخشية من نجاح واشنطن في استقطاب الكرد، وتشكيل كيانية خاصة بهم تتصل مع الكرد في إيران، وهذا هاجس إيراني تاريخي لناحية الخوف من

سيبقى أثر التدخل الأميركي -

الإسرائيلي في شرق الفرات ممتدّاً

إلى زمن طويل إذا لم تتغير

معادلات القوة لصالح القوى

الصاعدة

مفعول "الدومينو" لأي تقسيم وإقامة كيان قومي سترتد ادعاياته على كل دول الإقليم وبينها إيران.

المستوى الثاني: التهديدات المحتملة من قبل هذا الكيان المتشكل، كان تدفع مثل هذه الكيانية وبدعم من واشنطن لقطع الطريق على إيران عبر السيطرة على كامل الحدود العراقية، وما يترتب على هذا الأمر من إيقاف المشروع الصيني وعماده إيران في غرب آسيا.

3 - الفاعل الإسرائيلي، وهو فاعل يرتبط دوره في منطقة شرق الفرات بشكل جوهري بسبب إدراكه للتراجح الكبير للدور الوظيفي لإسرائيل اليوم كامتداد لمشروع الهيمنة الغربي، وخاصةً بعد هزيمتها في حرب تموز 2006 وما تلاها من حروب في غزة، وصعود قوى إقليمية تهدد الدور المناط بها، وهي تسعى بشتى الوسائل لكبح جماح صعود هذه القوى سواء كانت إيران أو تركيا، أو احتمال اجتماع العراق وسوريا، وهي لن تجد فرصة لتجديد نفسها خيرًا من إقامة شراكة مع الكرد السوريين إذا ما استطاعت ذلك عبر استغلال فكرة "احتياج" الكرد لدعم واشنطن لهم لإشغال دول وشعوب غرب آسيا بصراعات لا تنتهي، وبما يجعلها تستعيد دورها المرتبط ببقاء كيانها الوظيفي.

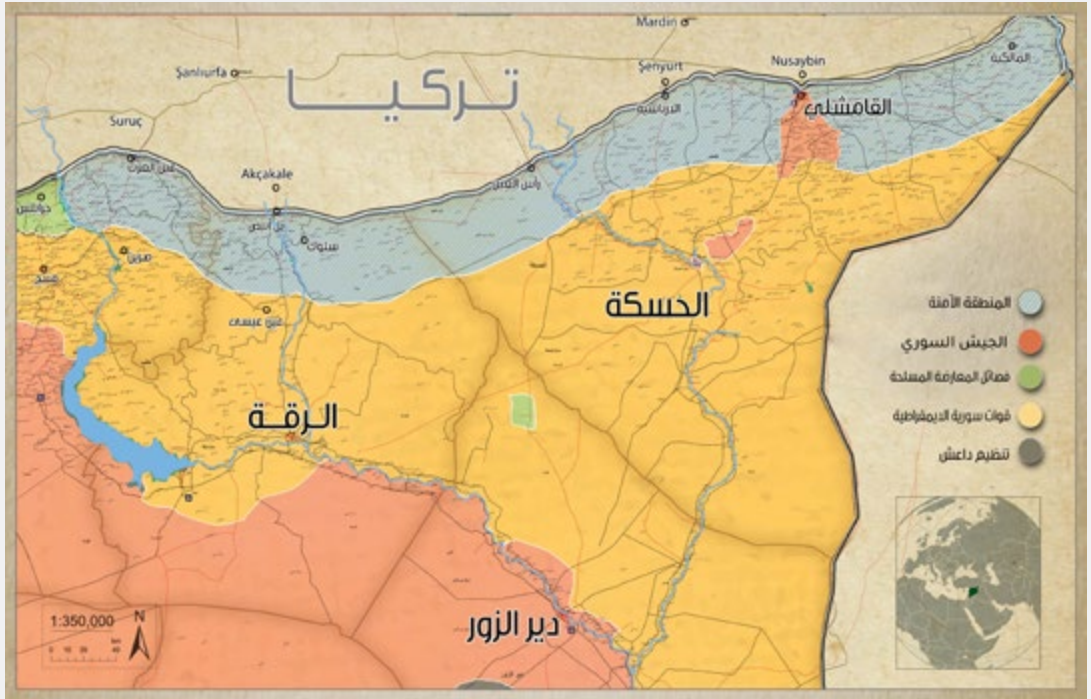
4 - الفاعل السعودي، ويمكن توصيفه على أنه عامل فاعل طارئ في المنطقة، يرتبط أساسًا بموقع السعودية في دائرة القطب الأميركي، وقلقها العميق من المشروع التركي الذي

يهدد نظامها السياسي على مستوى الداخل السعودي، وإحلال بديل إسلامي مقبول دوليًا ليشكل امتدادً لأنقرة، كما يهددها بسلبها زعامة العالم الإسلامي. بالإضافة إلى ذلك، فإن قلقها من المشروع الإيراني، لا يقل عن مستوى القلق من المشروع التركي وخاصةً بعد نجاحات طهران المتتالية مع دمشق وموسكو في الحرب السورية، وإطباق الحوثيين والجيش اليمني عليها من الجنوب، وتقلص نفوذها في العراق، وهذا ما دفعها لمواجهة تركيا وإيران في منطقة شرق الفرات، من خلال تقديم الدعم المالي للكرد وتأمين الحاضنة العربية العشائرية الطابع حتى لا تنقلب

١٨٠

المستوى الشعبي في المنطقة.

2 - الفاعل الكردي، وهو العنصر الأساس الذي تعول عليه كل المشاريع المتصاعدة. وأهمية هذا الفاعل تنطلق من الشعور بالمظلومية جراء تقسيم المنطقة لمجموعة من الدول، واستبعاد الكرد من إقامة دولة قومية خاصة بهم أسوة ببقية الدول الأربع التي يتوزعون بها، ما أهتهم للتعامل مع كل المشاريع الغربية في المنطقة بعد فشل المراهنات السابقة على الاتحاد السوفياتي، ومن بعده روسيا، وهم يتعاطون السياسة المحلية والإقليمية والدولية ببرغماتية تحصيل أكبر قدر من الحقوق، بالرغم



من إدراكهم لحجم المخاطر المترتبة على ذلك، والتي قد تعكس عليهم سلبًا جراء حسابات سياسية وعسكرية قد تكون خاطئة. وتستند هذه البر غماتية على مدى القلق العميق للغرب من التحولات الدولية المتسارعة لغير صالحه، وذلك بالسعي لتأمين احتياجاته ومصالحه لبقاء سيطرته، وحرصه على إفشال كل مشاريع قارة آسيا، وما يمكن أن يقدمه الكرد لهم من إمكانية استمرار الصراعات على مستوى سوريا والعراق وإيران وتركيا.

لا شك أن مشهد الصراع شديد التعقيد، وهو يحمل متغيرات دائمة لا يمكن التنبؤ بطبيعة النتائج النهائية له بشكل دقيق، وإن كانت هناك معطيات تؤكد أن الولايات المتحدة والقوى المرتبطة بها هي في حالة انكفاء، لصالح صعود المشاريع الآسيوية الثلاثة، وأن كرد سوريا يمكنهم أن يلعبوا دورًا إيجابيًا مؤثرًا إذا ما استطاعوا الانفكاك عن السياسات الأميركية، وتبنوا الخيارات الآسيوية، وضمن نظام إقليمي جديد، يتيح لشعوب غرب آسيا النهوض سويةً ولصالح الجميع.

على الكرد.

القوى المحلية الفاعلة

1 - الفاعل السوري، ويمكن القول أنه الفاعل الأساس في كل المشهد المعقد في منطقة شرق الفرات، وخاصةً أن دمشق تعاطت مع هذه المناطق أثناء الاحتلال الفرنسي، وبعد الاستقلال، باعتبارها منطقة نائية ونامية، ومع ذلك لم تتل ما تستحق من اهتمام، برغم أهميتها الاستراتيجية كسلة غذائية لسوريا، ومصدرًا أساسيًا لحوامل الطاقة، ما ترك جراحًا عميقة في نفوس قاطني تلك المناطق. ومما زاد من تعقيد المشهد منذ ذاك الزمن وحتى الآن، هو غياب رؤية استراتيجية لمستقبل سوريا على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ما انعكس سلبًا على كيفية تعامل مؤسسات الدولة السورية مع هذا الملف السيادي. ولكن بالرغم من تقلص تأثيرها على مجمل الشرائح الاجتماعية في المنطقة، فإن الدولة السورية ما تزال تمتلك الورقة الأقوى في التأثير المستقبلي بحكم امتلاكها للشرعية الدولية والقانونية، وتصلبها الشديد حيال أي حل سياسي لا يثبت دور دمشق المركزي، ولسيادتها وقرارها المستقل. ويساعدها في ذلك ارتفاع مستوى الشكوك في إمكانية تحقيق كيانية سياسية خاصة على

"روح آفا" حلم أكراد سوريا الذي يتبدد

موسى عاصي

منذ مطلع القرن الماضي، يسعى الأكراد، ليس في الشرق الأوسط وحسب بل في العالم بأسره من أجل قيام دولة كردية، أسوة بدول كثيرة في العالم نشأت على أساس قومي، ولكن الوهم الذي تعاطم غداة ما يسمى "الربيع العربي" سرعان ما تهاوى لأسباب دولية وإقليمية.

مرحلة الخيبات

في صيف العام 2012، اضطر الجيش السوري إلى سحب كامل وحداته العسكرية من المناطق ذات الغالبية الكردية في الشمال والشمال الشرقي للبلاد من أجل تعزيز مواقعه في المدن الكبرى ولا سيما في حلب والعاصمة دمشق، التي كانت مهددة إلى حد بعيد من قبل المجموعات المسلحة، وقد حصل هذا الانسحاب بتسيق كامل مع الميليشيات الكردية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، النسخة السورية من حزب العمال الكردستاني، ألد أعداء تركيا وعدد من الأحزاب والقوى الأخرى الأقل أهمية.

شكل هذا الحدث نقطة تحول هامة في تكون الحالة الكردية السورية، فقد انصرف هؤلاء مباشرة لتنظيم انفسهم انطلاقاً من مبدأ أن الفرصة قد سححت لحياء حلم قديم بإقامة دولتهم المتعارف عليها كرديا "غرب كردستان" أو "روح آفا" بحسب الترجمة الكردية، وكان المفترق الأساس في هذا المسار هو المواجهة العنيفة التي جرت بين المقاتلين الأكراد وتنظيم "داعش" الارهابي في مدينة عين عرب "كوباني" منتصف عام 2013، واثبت فيها الأكراد انهم مقاتلون اشداء، تمكنوا من دفع التنظيم إلى الانسحاب من المدينة مطلع العام 2015.

هذا الانتصار حوّل الأكراد إلى رقم صعب في المشهد السوري العام، فانطلقوا لتعزيز نفوذهم ضمن استراتيجية قيام الدولة الكردية، ما دفع بمئات الآلاف من اكراد العراق وايران وتركيا (500 الف) العالمين بالعيش ضمن دولتهم القومية للالتحاق بهم، ووجد مناصرو حزب العمال الكردستاني من مقارهم في جبال قنديل شمال العراق فرصة للخروج إلى النور، فتدفق إلى شمال سوريا آلاف المقاتلين، وحظي هؤلاء بدعم عسكري ولوجستي روسي مباشر واميركي غير مباشر عبر مناطق الأكراد في شمال العراق، فحولوا ميليشياتهم من مجرد مجموعات مقاتلة بأسلحة فردية متواضعة، إلى جيش منظم يصل تعداد جنوده الاصلين إلى أكثر من 35 الفا ويرتفع هذا العدد ليلبغ أكثر من 60 الفا باضافة المقاتلين غير الاساسيين والمقاتلين العرب الذين التحقوا بقوات سوريا الديمقراطية "قسد".

شعر الأكراد في هذه المرحلة بفائض قوة لا يسمح لهم بأقل من خيار الدولة المستقلة، فكان أن تراجعت الاتصالات مع دمشق، وخفت تأثير روسيا على قرارهم لصالح التأثير الاميركي الواضح.

وعلى المستوى الكردي الداخلي واستنادا إلى لعبة توزيع للأدوار يتقنها الأكراد، أزيح محمد صالح مسلم، رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي، المعروف بعلاقته الوثيقة مع دمشق وموسكو، عن الواجهة لصالح التيار المتشدد الذي يقوده مظلوم عبدي الملقب بمظلوم كوباني، القائد العام لقوات سوريا الديمقراطية، ومرجعية هذا التيار تقيم في جبال قنديل شمال العراق ورجلها القوي جميل بايك.

للأدوار يتقنها الأكراد، أزيح محمد صالح مسلم، رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي، المعروف بعلاقته الوثيقة مع دمشق وموسكو، عن الواجهة لصالح التيار المتشدد الذي يقوده مظلوم عبدي الملقب بمظلوم كوباني، القائد العام لقوات سوريا الديمقراطية، ومرجعية هذا التيار تقيم في جبال قنديل شمال العراق ورجلها القوي جميل بايك.

عسكرية للدخول إلى شرق الفرات. وفور الاعلان الاميركي، وجه الأكراد بوصلتهم نحو روسيا، فأعادوا الحرارة سريعاً إلى خط الاتصال مع موسكو، التي طالبت "بنقل الأراضي التي كانت تسيطر عليها الولايات المتحدة إلى الحكومة السورية"، ونصحت ببدء حوار جدي مع دمشق "للتفاهق معها على طريقة لإدارة المناطق الشمالية".

وبالفعل، انتقل وفد كردي رفيع من مجلس سوريا الذي مقرطية برئاسة الهام احمد، الرئيسة التنفيذية للمجلس، إلى دمشق وجرت لقاءات متعددة بحثت بألية التنظيم الاداري للمناطق الكردية وكيفية تسلم دمشق زمام الامور هناك.

وفي موازاة هذه اللقاءات والاتصالات مع دمشق وموسكو، نشط ممثلو حزب الاتحاد الديمقراطي باتجاه العواصم الأوروبية وتحديدا باريس التي قامت بدور فعال بإقناع واشنطن بالعدول عن قرار الانسحاب، وتمكن الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون بإقناع ترامب بأن الانسحاب الاميركي سيفتح الطريق امام تحالف روسيا - ايران - النظام السوري للسيطرة على كافة الأراضي السورية، ما يعني توسع الدور الإيراني في المنطقة، وقد ساهمت اسرائيل إلى جانب فرنسا بالضغط على الادارة الاميركية من اجل وقف الانسحاب، وفي بيان لتتياهو بعد تبليغه القرار من وزير الخارجية الاميركية مايك بومبيو قال ان الانسحاب الاميركي من سوريا "درامي بالنسبة لإسرائيل"، وبحسب وسائل الاعلام الاسرائيلية، فإن تتياهو ضغط كثيراً على الرئيس الأميركي طيلة العام 2018 من أجل بقاء القوات الأميركية في سوريا.

نجحت كل هذه الضغوط بدفع ترامب إلى العدول عن قراره، بل أكثر من ذلك، فقد وضع استراتيجية معاكسة تماماً للخطة السابقة، فربط من جهة انسحاب القوات الاميركية من سوريا بإنهاء الوجود الإيراني بشكل تام، ومن جهة ثانية، بدأ بتعزيز نفوذ القوات الكردية التي قررت فور تبليغها التطمينات ببقاء القوات الاميركية، التنصل من كل التزاماتها السابقة مع موسكو ودمشق، لتعود إلى حلم اقامة اقليم كردي مستقل.

نكسة عفرين

يعلم الأكراد علم اليقين ان قيام الدولة الكردية بات مستحيلاً بعد سقوط عفرين والتغيير الديمغرافي الذي فرضته تركيا هناك عبر طرد القسم الأكبر من السكان الأكراد (90% منهم تقريباً) واستبدالهم بعائلات عربية من عائلات المسلحين الذين فروا من جنوب ووسط سوريا



وتحديدا من الغوطة الشرقية بعد سيطرة الجيش السوري عليها، وبالمناطق الديموغرافي فإن دولة "روح آفا" التي تشكل 25% من اراضي سوريا، قائمة على ثلاث ركائز لا يمكن فصلها، وسقوط واحدة من هذه الركائز يعني سقوط الدولة بشكل كامل، هذه الركائز هي: عفرين، كوباني او عين عرب والجزيرة السورية.

وتبقى نكسة عفرين إلى حد بعيد أخطر بالنسبة لمستقبل الأقليم الكردي المستقل، لأن الضربة القاضية لهذا الحلم ستأتي من خلف الحدود مع اعلان تركيا التوصل إلى تفاهم مع الولايات المتحدة على انشاء المنطقة الآمنة شرق الفرات بطول 410 كيلومترات وبعمق 40 كيلومترا، ما يعني عمليا ان 90% من اقليم غرب كردستان سيكون ضمن المنطقة التركية.

حتى الآن تواجه الخطة التركية عقبات كثيرة أكبرها تراجع الحماسة الاميركية لها مع صعود التوتر في منطقة الخليج، وانشغال الاميركيين بالأزمة المفتوحة مع ايران، وثاني العقبات، انعدام قدرة تركيا المالية على تمويل مشروع انشاء بلدات وبنية تحتية ومساكن لاعادة ملايين اللاجئين السوريين الموجودين حاليا في الأراضي التركية، وقد طالب اردوغان خلال مؤتمره الصحافي المشترك مع نظيره الروسي فلاديمير بوتين والبراني حسن روحاني في انقرة في 16 ايلول/ سبتمبر الماضي، الاتحاد الأوروبي بالمساهمة بتمويل إنشاء هذه المنطقة لنقل اللاجئين إليها، لكن الاتحاد الأوروبي لم يصدر أي رد فعل على هذا الطلب.

والمعروف ان العلاقة بين تركيا والاتحاد الأوروبي تمر حاليا في أسوأ مراحلها بسبب الخلاف على التنقيب عن النفط من قبل انقرة في المياه الاقليمية القبرصية.

لكن اردوغان، المعروف بحكته السياسية وقدرته على اقتناص الفرص ينتظر تطورات الوضع في الخليج، وبالأخص في حال قرر الاميركيون تصعيد الموقف مع ايران أكثر، عندها سيضغط الاميركيون على تركيا، العضو في حلف الناتو، لتتخذ موقفا واضحا، وستكون المناسبة ذهبية لفرض شروط اردوغان في شرق سوريا.

في هذه الحالة، سيضطر الأكراد، كما جرى تماما في عفرين، إلى الفرار من مدنهم، ولكن هذه المرة سيلجأون إلى مناطق ذات غالبية عربية في جنوب الجزيرة السورية، حيث القرار لعشائر عربية عريقة ذات نفوذ قوي يمتد أحيانا من سوريا إلى العراق كعشيرة "شمر" وعشيرة "الجبور"، وهذه العشائر تحافظ في الوقت الحالي، وبغياب الدولة المركزية على علاقات في مختلف الاتجاهات ومع معظم القوى المؤثرة بالأزمة، من روسيا إلى السعودية إلى الولايات المتحدة وتركيا وتنسق جيدا مع دمشق ومع المعارضة (أحمد الجريا، رئيس الائتلاف المعارض السابق ينتمي لعشيرة شمر)، والمعروف ان هذه العشائر ترفض رفضا تاما مشروع الاقليم الكردي.

امام هذا المشهد، تفضل دمشق وموسكو وطهران الانتظار واعتماد سياسة عدم الاكترتاز إزاء الخطة التركية والمسعى الكردي، ذلك أن محافظة الأكراد على قوتهم بمواجهة المشروع التركي وتخطيط خطط اقامة المنطقة الآمنة يصب في مصلحة الحكومة السورية وداعميها الايرانيين والروس، وأولوية هؤلاء حسم الأمر في ادلب وانتهاء وجود المجموعات المسلحة هناك، وهذا كفيلا، من وجهة نظر الروس ودمشق، بفرض الحل النهائي على كل سوريا، ويعتقد الروس ان مصلحة تركيا عندئذ، بإبرام اتفاقات جديدة مع دمشق.

حلب.. عاصمة سوريا الاقتصادية تنتظر الفرغ

علاء حلي

"كل الآفاق مسدودة في الوقت الحالي. الصناعيون الذين رفضوا مغادرة سوريا يأكلون أنفسهم فعليًا، بانتظار الفرغ". بهذه الكلمات يلخّص صناعي سوري، أوضاع الصناعيين في حلب بعد ثلاثة أعوام تقريبًا على تحرير المدينة، التي كانت تشكل قبل اندلاع الحرب العاصمة الاقتصادية لسوريا.

ما إن استعاد الجيش السوري السيطرة على مدينة حلب في نهاية العام 2016، حتى استبشر الاقتصاديون السوريون خيرًا، وبدأ الحديث عن عودة العجلة الاقتصادية للدوران، وعودة المصانع الكبيرة التي من شأنها أن تنعش الاقتصاد المحمل بأعباء الحرب. اجتماعات عدة عقدتها الحكومة السوريين مع الصناعيين، ودعوات وُجّهت إلى مستثمرين خرجوا من سوريا للعودة إلى بلدهم، وإعادة فتح مصانعهم، بجانب تقديم بعض "التسهيلات" المتعلقة بصيانة الطرقات وتأمين التيار الكهربائي والسماح باستيراد الوقود، فضلًا عن صيانة أسواق وخانات حلب التاريخية التي كانت تشكل مركزًا تجاريًا كبيرًا للصناعيين.

كل ذلك، بدا وكأن نمة انطلاقًا "مشرقة" سيشهدها الواقع الصناعي في حلب، إلا أن ذلك لم يعكس فعليًا حقيقة ما جرى، وما يجري. يشرح الصناعي وعضو غرفة صناعة حلب السابق محمد

ما يجري فعليًا في اسواق حلب

القديمة هو افتتاح محال صغيرة

وبشكل عشوائي، وبمهنٍ غير تلك

المهن التي كانت تحتضنها



جميل شفيق - مصر

إحصاء لها في شهر آذار 2019، إلى أن نحو 82 ألف منشأة تعمل في سوريا من أصل نحو 130 ألفًا.

تعليقًا على هذه الإحصاءات، يرفض الصناعي الحلي الخوض فيما اسماه "لعبة الأرقام"، معتبرًا أن هذه الأرقام لها أهداف إعلامية أكثر منها اقتصادية، وموضحًا أن عمليات الاحصاء لا تأخذ بعين الاعتبار فعليًا الفروق بين المنشآت الكبيرة والمنشآت المتوسطة والصغيرة، كما لا تنظر إلى إنتاج هذه المنشآت ونسبة تشغيلها.

وعن دور المعارض والمؤتمرات في تنشيط الصناعات، يرى الصباغ أن هذه الفعاليات تساعد إلى حد بعض الصناعيين في تصنيف بضائعهم، إلا أن "ذلك لا يكفي لتنشيط الصناعة"، وفق تعبيره.

ويشرح الأمر قائلًا: "العقوبات المفروضة علينا أغلقت عددًا كبيرًا من الاسواق في وجهنا، كما أننا نواجه صعوبات في تصريف البضائع في بعض الدول الصديقة، سواء بسبب ارتفاع تكاليف النقل، أو بسبب عدم تمكن صناعيين كثر من السفر إلى تلك الدول وعرض بضائعهم في الاسواق". ويرى الصباغ أن ثمة حاجة إلى تدخل الجهات المعنية في الحكومة السورية، مثل وزارة الخارجية، لمساعدة الصناعيين وتسهيل معاملات تنقلاتهم عبر علاقتها مع الدول الصديقة، بالإضافة إلى دعم الصادرات عبر تقديم الدعم بشكل كامل لأية مواد يتم تصديرها أيًا كانت كميتها.

أسواق استعراضية واقتصاد اسبريسو

في المدينة القديمة، تنشط ورشات تأهيل وترميم أسواق المدينة الأثرية، التي كانت تعتبر أكبر مركز تجاري في حلب، إن لم يكن في سوريا. عمليات الترميم جارية على قدم وساق للأسواق الأثرية المسجلة في قائمة "اليونسكو" للتراث العالمي، والمسجلة في موسوعة "غينيس" كأطول وأقدم الاسواق العالمية.



محمد عبلة - مصر

ولكن عمليات الترميم في هذه الأسواق تأخذ حاليًا أبعادًا تراثية وتاريخية وثقافية أكثر منها اقتصادية، خصوصًا أن منظمات اممية هذه العمليات من منطلق ثقافي فحسب. المحامي والباحث التاريخي علاء السيد يشرح في حديث إلى "180" أوضاع هذه الأسواق في الوقت الحالي، وما تم ترميمه فعليًا.

لا توجد نسبة دقيقة لعدد الأسواق التي تم ترميمها، إلا أن السيد يشير إلى أن سوق السقضية تم ترميمها من قبل منظمة الأغا خان، وهي تضم 56 محلًا تجاريًا، افتتح منها بشكل فعلي ثلاث فقط. كما قام برنامج الأمم المتحدة الإنمائي "UNDP" بتقديم مساعدات لأصحاب المحلات في سوق الخائية، ويجري في الوقت الحالي الاستعداد لعمليات ترميم كاملة للسوق. كما عادت سوق الجلوم وسوق المحمص للعمل كونهما لم تتعرضا لأضرار كبيرة. كذلك جرى ترميم سوق النحاسين بدعم من برنامج الأمم المتحدة ومطرائية السريان الأوثوكس، حيث جرى افتتاحه في شهر حزيران الماضي، وقد تم تصوير السوق خلال مراسم افتتاحه، إلا أن جميع المحلات أغلقت بعد الانتهاء من مراسم الافتتاح مباشرة.

في هذا السياق، يشرح المحامي والباحث والتاريخي علاء السيد أن ما يجري فعليًا في أسواق حلب القديمة هو افتتاح محلات صغيرة وبشكل عشوائي، وبمهنٍ غير تلك المهن التي كانت تحتضنها السوق.

ويضرب مثالًا على ذلك قائلًا "كثير من المحلات التي افتتحت تباع القهوة السريعة والمشروبات الباردة". ويتابع "أسواق حلب القديمة كانت تعتمد قبل اندلاع الحرب بشكل رئيسي على سكان القرى أو الوافدين إلى محافظة حلب. في الوقت الحالي لا يوجد وافدون ولا يوجد طلب على البضائع، كذلك لا توجد منشآت صناعية تعمل بشكل كاف لتخديم هذه الأسواق، هذه العوامل ساهمت في استمرار إغلاق الاسواق برغم الجهود التي تتم لترميمها وافتتاحها لأسباب تراثية وثقافية فحسب، علمًا بأنه قبل اندلاع الحرب كانت حلب تستقبل، وفق بعض الإحصاءات،

1.5 مليون شخص يوميًا".

ماذا بعد؟

عانت سوريا قبل اندلاع الحرب من موجة جفاف حادة أضرت بشكل كبير القطاع الزراعي والحيواني، الأمر الذي أضّر بدوره العمليات الصناعية القائمة على الزراعة، فانخفضت مساهمة القطاع الزراعي إلى نحو 19 في المئة من إجمالي الناتج المحلي، وكان هذا القطاع يشغل نحو 26 في المئة من الأيدي العاملة في سوريا، وفق إحصاءات عدة.

بدورها، تسببت الحرب بأضرار بالغة في هذا القطاع الاقتصادي المهم، سواء بسبب العمليات القتالية أو التلوث الذي تسببت به عمليات استخراج وتكرير النفط البدائية في مناطق الشمال الشرقي من سوريا، أو بسبب خروج مناطق كانت تمثل مناطق استراتيجية للزراعة في سوريا.

كذلك، ألحقت الحرب أضرارًا كبيرة في القطاع النفطي، فخرجت أهم حقول النفط عن سيطرة الحكومة، كما تصررت الكثير الحقول، والبنى التحتية الخاصة بها، فضلًا عن تسرب الأيدي العاملة إلى خارج سوريا ضمن موجات النزوح الكبيرة التي شهدتها بعض المناطق.

وفي ظل الانخفاض الكبير لقيمة الليرة السورية وعدم استقرار سعر الصرف بسبب عمليات المضاربة، تبدو الصورة ضبابية بالنسبة إلى واقع الاقتصاد السوري وما ينتظره مستقبلًا، برغم "تفاؤل" الحكومة عبر تصريحاتها بتحسن الاقتصاد ودوران العجلة الإنتاجية، وهو ما يأمله الصناعيون أيضًا، الذين ينتظرون بدورهم فتح المعابر أمام بضائعهم، وتخفيض تكاليف النقل، الأمر الذي قد ينقذه من كارثة توقف العمل، من خلال إعادة تشغيل آلاته، علّ هذه العجلة تدور فعليًا.

(*) صحفي سوري

تبدو الصورة ضبابية بالنسبة إلى

واقع الاقتصاد السوري وما ينتظره

مستقبلًا، برغم "تفاؤل" الحكومة

عبر تصريحاتها بتحسن الاقتصاد

ودوران العجلة الإنتاجية

ثمة إتجاهان رئيسيان متضاربان تشهدهما سوريا' رهنأً: فيما بات الجميع تقريباً يسلّم بانتصار دمشق وحلفائها، في الميدان العسكري، تأتي إرهابات معركة إعادة الإعمار، في الإتجاه المعاكس، لتؤشّر على توطيد بُنى التبعية والتخلف والنهب الإقتصادي، والإيغال في السياسات ذات الصلة، مفاقمَةً الإختلالات الإجتماعية - الإقتصادية الخطيرة التي كانت مدخلاً للحرب.

يندرج الكلام "التقني" حول إعادة الإعمار، وتحديداً ما يتعلّق بتقديرات حجم الأضرار و"الفجوة التمويلية"، وبالتالي (هكذا، ميكانيكياً وإجبارياً) حجم الإستدانة، في إطار التضليل وتمويه منظومة المصالح الجيوساسية والطبقية، المحلية والدولية، صاحبة المصلحة بسيناريو الإستدانة المشروطة من الخارج، ونتائجها على المستويات كافة.

"القطط السمان" تعيد إنتاج ظروف التفجير

توصف فئة "رجال الأعمال" الطبقيلة - التي أثرت عبر أنشطة الوساطة في صفقات الإستيراد ومختلف أنواع التلزيقات وعقود الإستثمار الحكومية، والمضاربات العقارية والنقدية، وإلتجار بالعملة في السوق السوداء، بالإستفادة من أسعار الصرف التفضيلية، وسوى ذلك من الأنشطة المستندة إلى إحتكار السلطة وشبكتها الرزائية - توصف تلك الفئة وأقطابها بـ"القطط السمان"، خصوصاً أولئك الذين نهبوا القطاع العام ومقدّرات المجتمع عبر خصخصة المرافق العامة، أو بالأحرى "قرصنتها" (Piratization)، وفقاً للتسمية الروسية، في عصر "الإنتفاخ" و"الإصلاحات"، بدءاً من سبعينيات القرن الماضي، إثر هزيمة حزيران/يونيو 1967، وإجهاض الخيانة الساداتية للنصر العسكري الأولي في حرب تشرين/أكتوبر 1973.

جاءت السياسات الإجتماعية - الإقتصادية التي أنتجها تبدّل التحالفات الطبقة للسلطة في الدول العربية الإشتراكية (سابقاً) ونمت علاقاتها الدولية، بعد الهزيمة وتبدّل موازين القوى الدولية، بمثابة "شروط الإستسلام" الإقتصادية، على حد وصف الباحث علي قدرى؛ أي أن الهزيمة وإنكسار حركة التحرر قد سمحت للمعسكر الغربي بفرض السياسات النيوليبرالية، وإعادة هيكلة الدولة والمجتمع، بما أدى إلى تفكيك البنى الصناعية المُنشأة في الستينيات خصوصاً، وتفشّي البطالة، وتضخّم الأسعار، وتوسّع الفروقات الطبقة، أو بالأحرى تركّز الثروة في يد "طبقة رجال الأعمال الجدد"، في حين توسّع الفقر.

مكّنت أحيانًا هذه التحوّلات الإجتماعية - الإقتصادية،

"إعادة الإعمار؟": الصراع على مستقبل سوريا

فراس أبو مصلح

في إستراتيجيات الهيمنة الدولية، تسعى منظومة المصالح تلك للفوز بمعركة إعادة الإعمار، بما هي معركةٌ على ماهية الدولة السورية التي ستنهض من ركام الحرب العسكرية؛ وفي هذا الإطار، تعمل طبقة "رجال الأعمال الجدد" في سوريا، بالأصالة عن نفسها وبالوكالة عن المصالح الإقتصادية لدول العدوان بالذات ولشركاتها الكبرى، على الدفع بالمزيد من السياسات النيوليبرالية التي بدأ إتباعها في سوريا منذ ثمانينات القرن الماضي، والتي تطوّر منحها مطلع الألفية الثانية، لتتسارع "جنونياً" بعد ذلك بسنوات، حتى مع إنفجار الأوضاع أمنياً وإجتماعياً - إقتصادياً عام 201١؛ وقد كانت السياسات تلك من الأسباب الرئيسة لما آلت إليه الأمور في سوريا.

لا يمكن مقارنة مسألة إعادة الإعمار إذاً بشكلٍ منقطعٍ عن سياقها التاريخي؛ أي بغير كونها

محطّةً في تاريخ الصراع الطويل من أجل التحرّز، في سياق تحوّلات علاقات القوة الدولية، وبما في هذا التاريخ من تحوّلٍ في البُنى والتحالفات السلطوية - الطبقةية محلياً، ربطاً بما سبق. وعليه، فإن محاولة صياغة نموذجٍ إجتماعي - إقتصادي تنموي ممكن التطبيق لإعادة الإعمار، أو محاولة إستشراف النموذج الذي ستجري في إطاره فعلياً عملية إعادة الإعمار في سوريا، تبقى رهن حاصل صراع المصالح والإرادات على المستوى الدولي والإقليمي، والتي تأخذ شكل مشاريع متنافسة في مجالات الطاقة وطرق الإمداد والمواصلات خصوصاً، وما يتعلّق بها من بُنى وترتيبات عسكرية وأمنية وسياسية؛ وتبقى أيضاً رهن الديناميات الإجتماعية - السياسية المحلية، بتحوّلاتها وصراعاتها.

في سوريا.. حيث من المرجح أن يتراوح سعر المتر المربع بين 300 و500 ألف ليرة سورية (أي بين 600 وألف دولار أميركي)“.

وكما كان الرهان على سياسة تعويم المصارف التجارية الخاصة لتحقيق "الانتعاش" الإقتصادي في لبنان مضللاً - ولا نقول خائبًا، كي لا نغيّب القصد - كذلك تبدو مؤشرات أداء المصارف التجارية السورية الخاصة. تركّز إقراض الأخيرة العام الماضي لـ"زبائنها الكبار"، بنسبة 82% من مجمل القروض، كما تركّز إقراضها للنشاط التجاري، بنسبة 63%، والذي يمكن الإضافة إليه نسبة تمويل النشاط العقاري (%7)، لتصبح نسبة إقراض النشاط غير الإنتاجي، في العام نفسه، 70% من مجمل الإقراض، في أقلّ تقدير. وذلك في حين تطالب غرفة صناعة حلب، مثلاً، بالإعفاء من الغرامات وفوائد التأخير (على سداد أقساط القروض) التي أصبحت تتجاوز أصل الدّين في بعض الحالات"، وتخفيض أسعار الفائدة“.

وإذا كانت "كفاءة" القطاع المصرفي التجاري الخاص في تمويل "التنمية" جلية المعالم، فالحق يُقال أن القطاع الصناعي العام لم يكن أوفر حظًا مع الحكومة، وذلك قبل عام 20١1، في عهد نائب رئيس الوزراء للشؤون الإقتصادية، عبدالله الدردري، حين رأى رئيس جمعية الإقتصاديين العرب، منير الحمش، أنهم في الحكومة "خنقوا هذا القطاع، ومنعوا إصلاحه، وحجبوا عنه الإمكانات المادية، منعوا تجديد آلآته واستبدالها، سحبوا احتياطياته وخنقوه“.. وهل كان ذلك فقط خدمةً لـ"القطط السمان"، عدوة القطاعات الإنتاجية؟



سامية حليبي - فلسطين

تبدو المسألة أبعد من مجرد مصالح طبقية تجري خدمتها على حساب الصالح العام. فثمة "إرتياب مشروع" في نية التخريب المتعمّد لدى صنّاع القرار الإقتصادي في الحقبة "الدردرية"، بما يتجاوز المصالح الإقتصادية البحتة. يرى الحمش أنه في السنوات السابقة لإندلاع الحرب الأخيرة، "جرى إهمال، يكاد يكون متعمدًا، للمناطق الشمالية الشرقية... (الرقّة ودبر الزور والحسكة)، فضلًا عن قطاع واسع من ريف حلب وإدلب، وبرغم أن هذه المناطق هي من المصادر الأساسية للأمن الغذائي والإنتاج الزراعي، فضلًا عن وجود الثروة النفطية والغازية فيها. وللأسف فقد بقي هذا القطاع الواسع من الشعب السوري والأراضي السورية وكأنه خارج الزمن، وقد إنتشر فيه الجهل والفقر والمرض والعوز، وكان أيضًا مجالًا خصبًا للدعوات السلفية والوهابية، وهذا ما يفسّر تنامي الحركات الإجتماعية ومن ثم الإرهابية في هذه المنطقة الواسعة من سوريا“.

فهل ثمة مؤشّر أوضح على خطورة التمادي في السياسات الإقتصادية النيوليبرالية السيئة، أو على التقليل من أهمية وإلحاح إستكمال معركة التحرير بخوض معركة التحرّز من "شروط الإستسلام" الإقتصادية، والخروج من أسر وضعية "أشباه المستعمرات"، التي تبقى شعوبنا ودولنا في دائرة التخلف والضعف واللا-إستقرار والتبعية؟

التحرير وإقتصادات "أشباه المستعمرات"

في دراسةٍ له حول الهامش الفُتاح أمام الحكومات لتطبيق السياسات الإقتصادية العامة، لا سيّما الصناعة والتجارية، يقابل أستاذ الإقتصاد في جامعة كامبردج، ها-جون تشانغ، بين الهامش السياساتي



رئيسية "حصة" يُعتد بها من مستقبل سوريا الإقتصادي - السياسي، لكن دون المستوى الذي يسمح لتلك الدول بإملاء شكل ومحتوى الواقع المستقبلي، فإن نماذج "إعادة الإعمار" والأطر السياساتية العامة التي تسوّفها ما يُسمّى بـ"المؤسسات الدولية"، والتي عايننا منها ما عايننا، يجب أن تُطرح جانبًا. لكن ذلك سيتطلّب، على الأرجح، تغييرًا مهمًا في قاعدة التأييد الإجتماعي، أو قلّ التحالف الطبقي الذي تستند إليه دمشق رهنًا، والذي تحوّل تدريجيًا، منذ سبعينيات القرن الماضي، من تحالفٍ لقاعدةٍ شعبيةٍ عريضة، ضمّت في الستينيات (بفضل السياسات الإشتراكية) طبقة وسطى ناشئة أو متمددة إلى جانب الجيش الوطني وقطاعات فلاحية.. تحوّل إلى قاعدة أضيق، عمادها، إلى جانب العسكريين، "برجوازية الدولة" الناشئة وطبقة "رجال الأعمال الجدد" الطفيليين، من "القطط السمان".

خاتمة

مع تآكل النظام العالمي الذي نشأ بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي، وبدء تشكل نظام عالمي جديد متعدّد الأقطاب، تقدّم فيه القوى "الأوراسية" نموذجًا جديدًا على مستوى العلاقات الدولية، لا سيما لجهة إحترام سيادة الدول ومصالحها الأمنية والإقتصادية، تبرز أمام سوريا، فرصة تاريخيةٌ للنهوض وإعلان "شروط الإستسلام" السياساتية، سالفة الذكر، منتهية الصلاحية؛ ولها فرصةٌ للخروج من وضعية "أشباه المستعمرات"، والتي سبق أن خرجت منها، وإن لحين، في حقبة السياسات الإشتراكية. فهل تنجح دمشق بإحداث التحوّل الإجتماعي – السياسي - الإقتصادي المطلوب لإستكمال التحرير العسكري بالتحرز الوطني الشامل؟

- بغرض التبسيط، يشير مصطلح «سورية» في هذا النص إلى الجمهورية العربية السورية على وجه الخصوص، دون أن يشمل بالضرورة سورية التاريخية، الفُشار إليها أيضًا بمصطلحات «الهلال الخصيب» أو«المشرق العربي»، بتعريفه الأضيق.
- يشير مصطلح «إعادة الإعمار»، بتعريفه الأوسع، ليس فقط إلى إعادة بناء المساكن والمنشآت والبنى التحتية، بل أيضًا إلى تأهيل وتطوير مختلف البنى والعمليات الإنتاجية والخدمية، وصولًا إلى تحقيق التنمية الإجتماعية-الإقتصادية، على إختلاف المفاهيم حولها.
- «The Unmaking of Arab Socialism», Anthem Press, London, 20١6
- منير الحمش، «الإقتصاد السوري في أربعين عاماً (-197١-20١0)»، منتدى المعارف، بيروت، 20١١
- جوزيف ضاهر، «مفارقة إعادة إعمار سورية»، مركز «كارنيفغي» الشرق الأوسط، 16 أيلول 20١9، https://carnegie-mec. org/20١9/09/16/ar-pub-79843
- المرجع السابق
- عشار محمود، «المصارف السورية الخاصة في 20١8»، «قاسيون»، 26 آب 20١9، http://kassioun.org/economic/item/62750-20١9
- 1-4-1-20١8، نُظِر في 20/9/20١9
- ليلي نصير، «على أبواب المعرض... مشاكل الصناعة في مذكرة»، «قاسيون»، 26 آب 20١9
- الوصف لرئيس جمعية الإقتصاديين العرب، منير الحمش، «قاسيون»، ١7 آذار ٢009؛ http://kassioun.org/economic/item/46508-20١908-2١
- منير الحمش، «نموذج وطني للتنمية والإعمار: الإقتصاد السوري من المحنة والكبوة إلى النهوض والتنمية»، جمعية العلوم الإقتصادية السورية، دمشق، 7 آب 20١4.
- «Policy Space in Historical Perspective», t Ha-Joon Chang, University of Cambridge, October 2005

بين دمشق وعمان.. أشواق وأشواق

رانية الجعبري



كمال بلاطة - فلسطين

مرّ تابع أشواق الأردنيين من تجار وسائقي سرفيس على خط "عثمان - الشام" ومقاولين وسياسيين وكتاب يتحدثون خلف الأبواب المغلقة، وأحيانًا يفشونها في تصريحاتهم للصحافيين وفي مقالاتهم، ومن زار دمشق بعد إعادة فتح معبر نصيب – جابر الحدودي في تشرين الأول/ أكتوبر من العام 20١8 لا يمكنه أن يجد توصيفًا للحالة التي ملكت الشعبين إلا أن "الناس مشتاقة".

هذا الشوق الذي عبّر عن نفسه بتلقائية خلال العامين الماضيين، عكّر صفّوه الملحق التجاري الأميركي في عمان عندما هدد التجار الأردنيين إن تعاونوا مع دمشق، فبدأت العصي توضع في الدواليب، ليجد الأردني نفسه ضحية "قانون قيصر" الأميركي الساعي لحصار سوريا.

كانت سنوات إغلاق معبر نصيب – جابر الحدودي بين سوريا والأردن، منذ العام 20١5 وحتى 20١8، عجاجًا على الأردنيين، ووقعت عمان ضحية حصار دمشق، حتى أنهكها الحال. لذلك، شكّلت إعادة افتتاح المعبر طاقة فرج، فرح لها الأردنيون، لكن اشتياقهم لم يأخذ في الاعتبار أن الصراع الاقليمي والدولي على الأرض السورية وفي مساحات أخرى من المنطقة لم يُحسم بعد، فسرعان ما خيمت الخيبة على السياسي الاردني قبل التاجر والمقاول والمواطن وهو يرى الطريق نحو دمشق خاوياً برغم أنه معاد مغلقا، كما في السابق.

السياسة لا تفسد للاقتصاد قضية!

تاريخيًا، قلّما اجتمعت عمان ودمشق في السياسة. تلغص الصحافية زندا حبيب في كتابها "الحسين أبا وإبنا" قصة عمان ودمشق تحت عنوان "سوريا: صداقة على وقع السلاح"، قائلة "لم تكن هناك قواسم مشتركة تجمع بين

الملك حسين والرئيس السوري حافظ الأسد، فالرجلان كانا على طرفي نقيض، ولم يكن قيام صداقة بينهما أمرًا ممكنًا".

وتشرح حبيب "كان الحسين مأخوذًا بالنموذج الغربي للحكم، في حين كان الأسد موالياً للСоقيّات. كان الأول على قناعة بإمكانية العيش في وئام مع الإسرائيليين، فالعرب واليهود (جميعهم أبناء إبراهيم)، كما يحلو له القول، أما الأسد فكان ينظر إلى إسرائيل من منظار الشك والريبة".

وبرغم ما سبق تقول حبيب "وعلى ما بين الرجلين من خلافات واختلافات، فقد عرفنا فترات تقارب على خلفية المصالح المشتركة".

لن نبذل جهدًا كبيرًا حتى نستدل على مواقف سياسية جرت بين البلدين في فترة الأزمة السورية، يمكننا أن نتسحب على القاعدة الماضية التي وضعتها حبيب لتوصيف العلاقة تاريخيًا. فالأردن المنتمي إلى محور معاد لسوريا، وبرغم استضافته لقاعدة "الموك"، وبرغم المساهمة التي فرضت

كان الجانب الأردني تحديدًا يفضل عقد الاجتماعات مع الجانب السوري بعيدًا عن الإعلام حتى تتم الاتفاقات بعيدًا عن الضغوط؟

يعتبر نائب رئيس الوزراء وزير الدولة الأردني الأسبق لشؤون الاستعمار جواد العناني، خلال حديثه إلى "18٥"، أنه "قد يكون هنالك مستويان من تطوير العلاقة"، مشيرًا إلى المستوى الثاني وهو "الاتصالات بين مسؤولين سابقين معروفين بحسن علاقاتهم مع سوريا، وذلك بهدف التمهيد للأمور، وهم يحاولون دفع الأمور باتجاه الحل ووضع تصور لما يجب أن تكون عليه الأمور، وإذا كانت هنالك إشكاليات فإنهم يحاولون حلها، سواء كانت متعلّقة بالحدود أو الأسرى أو التطوير التجاري أو معبر نصيب أو ما يخص الاستثمارات المشتركة بين البلدين وغيرها".

وبالفعل، فقد تمت زيارات من رؤساء حكومات سابقين إلى سوريا، وهي لم تكن معلنة ولم يؤكدها مصدر أو ينفيها، لكن تناقلتها أحيانًا، بعدما تمت، مواقع الكترونية اردنية. وقبل أن يتطرق العناني إلى طبيعة تلك الزيارات غير المعلنة، فإنه يتحدث عن "علاقات واضحة وفوق السطح"

وهي "العلاقات الدبلوماسية" التي يرى أنها "أصبحت أكثر كياسة ولباقة مما كانت عليه أيام سفير [سوري] سابق وإبان فترة الحرب"، مبيّنًا أن "كل جانب يسعى لمحاولة تفهم موقف الآخر".

وبناء على ما سبق، يعتبر العناني "أن المباحثات غير المعلنة إعلاميا في بعض الأحيان تكون فقط من أجل عملية توضيب الأمور وتسهيلها لا أكثر ولا أقل، لأنها في آخر المطاف إذا أدت إلى نتائج ملموسة على الأرض سيتم

الإعلان عنها في الوقت المناسب".

برغم ما ذهب إليه العناني، لا يمكن إنكار الضغط الأميركي على الأردن في هذا الخصوص.

يشرح الكاتب والمحلل السياسي عريب الرنتاوي لـ"18٥" درجة الضغط الأميركية على الأردن قائلاً: "كان موضوع فتح معبر [جابر – نصيب] أمرًا منتظرًا سواء على المستوى الرسمي أو على المستوى الشعبي، لكن الاردن في هذا الموضوع يتعرض لضغوط كثيرة أهمها الضغط الأميركي الآن".

قناة برلمانية مفتوحة

ويضيف الرنتاوي "الولايات المتحدة لا تفوّت مناسبة إلا وتطلق تحذيرات قطعية من خطورة التعامل مع السوريين، وأثرها على وضع الشركات ورجال الأعمال والمؤسسات على قوائم العقوبات. ففي يوم معرض دمشق الدولي، قاموا بإصدار بيان ومعرض إعادة إعمار سوريا أصدروا إنذارًا، وعندما تم فتح معبر [نصيب – جابر]، لم يترك الملحق التجاري الأميركي مؤسسة إلا وأبلغها بأن المشاركة في أي عمل – "بنس" مع سوريا يعرضكم للعقوبات الأميركية وبمنعكم من الاستفادة من مزايأ اتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة".

لقد أصبح المعبر حسب الرنتاوي، وبسبب الضغوط الأميركية على الأردن، مجرد ممر لحركة الأفراد أكثر من كونه مخصصًا لحركة البضائع والتجارة. لذا يرى الرنتاوي أن "التطبيع على المستوى الحكومي [بين البلدين] تباطأ بشدة بسبب هذه العقوبات، ولكن توجد قناة برلمانية نشطة، تحاول تعويض القناة الحكومية بشكل أو بآخر".

ويُذكر الرنتاوي بالموقف الأوروبي الذي ما زال سلبيًا حيال سوريا، فيقول "أوروبا أيضًا لديها قوانين عقوبات على سوريا، والدليل احتجاز ناقلة النفط الإيرانية في جبل طارق، وهي احتُجزت بحجة خرق العقوبات الأوروبية على دمشق وليس العقوبات الأميركية والدولية".

لا يريد الأردن أن يغضب الأوربيين في هذا الشأن، بحسب الرنتاوي، الذي يعود ويؤكد أن "الضغط الأساسي الذي يخشاه الأردن هو الضغط الأميركي أكثر من أي شيء آخر.

ولهذا السبب نحن نرى أن هنالك مصلحة ورغبة وإرادة شعبية عمومًا تتجه للتطبيع مع سوريا وإعادة العلاقات لكن المستوى الرسمي لا يزال قلقًا مترددًا يأخذ في الحسبان الموقف الأميركي في هذا المجال".

عند سؤال العناني حول ما إذا كان الانفتاح الاقتصادي الاردني على سوريا يخدم دولا خليجيًا وتحديدا بما يخص موضوع الترانزيت، يجيب "نعم"، ويضيف "يجب أن نعلم أن علاقتنا مع سوريا والعراق مهمة جدًا، هؤلاء جيراننا وشركاؤنا التقليديين اقتصاديًا وهي علاقة يصعب جدًّا فصلها".

ويعتبر العناني أن الحل يكمن في أن "يكون هناك مسعى قوي من الأردن لاقناع الإدارة الأميركية بأن هذا الكلام لا يجوز لأن حجم الضرر كبير جدًّا علينا، وقد تحملناه سنوات طويلة". ويضيف "يجب أن نؤكد على قضية مهمة جدًّا، وهي أن الأردن راغب جدًّا في أن تكون علاقاته مع سوريا طبيعية وعادية، وأن تعود الي سابق عهدها، لأن بيننا علاقات تجارية واقتصادية كبيرة".

توجد قناة برلمانية نشطة، تحاول

تعويض القسناة الحكومية

بشكل أو بآخر

ويضيف الرنتاوي "الولايات المتحدة لا تفوّت مناسبة إلا وتطلق تحذيرات قطعية من خطورة التعامل مع السوريين، وأثرها على وضع الشركات ورجال الأعمال والمؤسسات على قوائم العقوبات. ففي يوم معرض دمشق الدولي، قاموا بإصدار بيان ومعرض إعادة إعمار سوريا أصدروا إنذارًا، وعندما تم فتح معبر [نصيب – جابر]، لم يترك الملحق التجاري الأميركي مؤسسة إلا وأبلغها بأن المشاركة في أي عمل – "بنس" مع سوريا يعرضكم للعقوبات الأميركية وبمنعكم من الاستفادة من مزايأ اتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة".

لقد أصبح المعبر حسب الرنتاوي، وبسبب الضغوط الأميركية على الأردن، مجرد ممر لحركة الأفراد أكثر من كونه مخصصًا لحركة البضائع والتجارة. لذا يرى الرنتاوي أن "التطبيع على المستوى الحكومي [بين البلدين] تباطأ بشدة بسبب هذه العقوبات، ولكن توجد قناة برلمانية نشطة، تحاول تعويض القناة الحكومية بشكل أو بآخر".

ويُذكر الرنتاوي بالموقف الأوروبي الذي ما زال سلبيًا حيال سوريا، فيقول "أوروبا أيضًا لديها قوانين عقوبات على سوريا، والدليل احتجاز ناقلة النفط الإيرانية في جبل طارق، وهي احتُجزت بحجة خرق العقوبات الأوروبية على دمشق وليس العقوبات الأميركية والدولية".

الإمساك بموانئ المنطقة.. أحلاف وعداوات ومصالح

إذا كانت المعابر المائية والمضائق تحظى باهمية خاصة وتكالب عليها الدول الكبرى والاساطيل للتحكم بها، فان ما يضمّر لموانئ البحر الأحمر لا يقل خطورة من النواحي السياسية والاقتصادية والامنية، إذ باتت هي ايضا محط اطماع القوى الاقليمية والدولية. وصارت سياسات الموانئ محورا أساسيا تتشكل حوله الأحلاف والعداوات السياسية في عموم المنطقة.

سلطت المواجهات الاخيرة في جنوب اليمن، لا سيما في محافظة عدن بين قوات حكومة الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي بدعم سعودي وقوات المجلس الانتقالي الداعي الى انفصال الجنوب بدعم اماراتي، الضوء على مسألة استراتيجية تعدى ما يجري على الساحة اليمنية مباشرة الى مسألة اشد تعقيدا، وهي تسابق القوى الاقليمية والدولية على حجز مواقع نفوذ لها في رقعة جغرافية مهمة تمتد من الخليج الى البحر الاحمر مروراً ببحر العرب حيث الشريان الحيوي لتجارة العالم وممرات الطاقة.

وايا كانت المبررات والاسباب السياسية للاشتباكات الحاصلة في جنوب اليمن، فانها لا تحجب حقيقة النيات الكامنة للسيطرة على موانئ هذا البلد، ولا سيما منها ميناء عدن الذي يعد من أكبر الموانئ الطبيعية في العالم، ويقع على الخط الملاحي الدولي رابطاً بين الشرق والغرب، ويتميز بحماية طبيعية من الأمواج، والرياح الموسمية من الاتجاهات الأربعة، ما يجعله صالحا للملاحة طوال ايام السنة.

ونظرا لأهمية هذا المرفق الحيوي، ترى الامارات، أن ميناء عدن يشكل أبرز تهديد لها، بحيث يمكن أن يقضي على الأهمية الاستراتيجية لمدينة دبي وميناء جبل علي، لذا سعت باكراً إلى تعطيل ميناء عدن المطل على مضيق باب المندب، ومن ثم السيطرة العسكرية والسياسية على المدينة بأكملها عبر الوجود الميداني لقواتها قبل انسحابها، ثم عبر حلفائها في بعض فصائل الحراك الجنوبي مثل المجلس الانتقالي وقوات الحزام الامني.

وهذا الهدف قديم في حسابات القيادة الاماراتية، وهي كانت توصلت عبر شركة موانئ دبي العالمية الى صفقة مع صناعاء، في عهد الرئيس الراحل علي عبدالله صالح لتشغيل ميناء عدن، وهي صفقة وصفها اليمنيون انذاك بأنها أقرب الى عملية بيع. كذلك حاولت الامارات عبر قوات حليفة لها، السيطرة على مضيق باب المندب الذي يعد من أهم منافذ التجارة العالمية، بالإضافة إلى ميناء المخا التجاري المهم على الساحل الغربي لليمن. كما تسيطر على جزر يمنية منها جزيرة بريم (ميّون)، وجزيرتي زقر

جاذبية سري - مصر



نهضة إثيوبيا تذكي التنافس

وبحسب موقع الـ"أفريكان اريجيومنت"، فإن إثيوبيا كدولة غير ساحلية تسعى للتخلص من قيد الاعتماد الشديد على جيبوتي، التي تكفلت موانئها بمرور نسبة 9٥ في المئة من التجارة الخارجية الإثيوبية منذ اندلاع الحرب الحدودية مع إريتريا في 1998. وإذا كانت اديس ابابا لا تسعى الى الحد من استخدام موانئ جيبوتي، إلا انها تريد تنويع سبل وصولها إلى البحر، وتاليا خفض تكاليف الشحن البحري من خلال تحفيز التنافس في هذا السوق.
وبعد الاعلان عن انشاء ممزّ "لايبست" الكيني، الذي يهدف إلى ربط سواحل كينيا في منطقة لامو، مع جنوب السودان وإثيوبيا، صارت هذه الموانئء محط اهتمام الدول التي

تملكها خصوصا جيبوتي، كما صارت عنصر جذب للدول الطامحة إلى حجز بطاقة اقتصادية في هذه المنطقة الحيوية وتثبيت رأس جسر لنفوذها فيها مثل الصين وشركاتها التي صارت الجهة الرئيسية للتمويل، وراحت تتولى تنفيذ معظم مشاريع البنية التحتية في جيبوتي وغيرها، وذلك بهدف تعبيد طريق الحرير البحري، الذي يربط الممزمات المائية مع مشروع بيجينغ المعروف بالحزام والطريق.

أما الجهة الثانية والفاعلة في قضية الموانئ، فهي الإمارات



انظار السعودية الى المهرة

وفيما يتركز الجهد الاماراتي على محافظة عدن ومينائها في غرب جنوب اليمن، تتجه انظار السعودية الى شرق جنوب اليمن وتحديدا الى محافظة المهرة التي صارت في قبضة السعوديين تحت مبرر مكافحة الارهاب والتخريب. وبعد نشرها المئات من الجنود والمدركات، شرعت الفرق الفنية السعودية في مد انبوب نفط من شرورة في العمق السعودي الى سواحل المحافظة اليمنية. وتجمع المصادر على ان الهدف الرئيسي هو انشاء منصة لتصدير النفط في ميناء نشطون المطل على بحر العرب، وذلك تفاديا – عند الحاجة – لنقل النفط السعودي من موانئ المملكة في الخليج عبر مضيق هرمز الذي صار ورقة ضغط في يد ايران

بحكومة "أرض الصومال" ما أدى إلى خلاف سياسي بين ابو ظبي ومقديشو، افسح المجال لقطر وتركيا في عبور هذه الثغرة الى الداخل الصومالي وبناء قاعدة عسكرية بحرية في مقديشو، مثلما فعلنا في جزيرة سواكن السودانية. ومثلها مثل تركيا، صار للصين أول قاعدة عسكرية بحرية لها خارج البلاد وذلك في جيبوتي قبالة سواحل اليمن والصومال، في مواجهة قاعدة ليمونير الأميركية في البلد ذاته.

تهدد بها ساعة تشاء.

وبطبيعة الحال، فان الحضور الايراني في هذا المشهد يلقي بظلاله ليس فقط في هرمز بل في المضيق الاخر، باب المندب الذي لا يقل اهمية كشریان حيوي للملاحة الدولية، فطهران حاضرة هناك بحلفائها الحوثيين الذين استشرسوا دفاعا عن ميناء الحديدة، ابرز موانئ المندب والبحر الاحمر.

ميناء الدقم، سنغافورة الجديدة

وفيما تجري امور المرافئء بصخب في اليمن وجيبوتي واريتريا، فان سلطنة عمان دخلت على الخط بصمتها المعهود، لكن بقوة من شأنها ان تقلب حسابات جيرانها راسا على عقب.

وعلى نار هادئة، بدأ المشهد يتغير في منطقة الدقم التي كانت حتى الامس القريب، مجرد بقعة صحراوية خالية تواجه بحر العرب. لكن، وبعد استثمار ملياري دولار فيها لبناء أرصفة طويلة، وحوض جاف لبناء السفن، وشبكة طرق، ومطار وفنادق، يمكن ان نرى هناك ميناء ينافس ميناء جبل علي في الإمارات ومدينة تنافس دبي بعد انجاز المشروع الذي يكلف 6٥ مليار دولار بحسب حكومة مسقط. وهذا الميناء يقع في منتصف الطريق عبر بحر العرب، بين الهند وشرق أفريقيا ويمكن أن يوفر بديلا لمن لا يريد خوض مغامرة المرور في هرمز. وسيحظى الميناء بمطار كبير ومدينة سياحية وشبكة سكك حديد تتصل بمدن الصحراء اضافة الى ساحل بكر بطول 8٥ كيلومترا قد تجعله أكبر من البحرين أو سنغافورة.

وبحسب كتاب "مونسون: المحيط الهندي ومستقبل القوى الأميركية" لروبرت كاپلان، فان الدقم بالنسبة لعمان، "مفتاح بناء البلاد"، وبالنسبة للولايات المتحدة، "تشكل إجابة جزئية على ميناء كوادز الذي بنته الصين على الساحل الباكستاني القريب. مع إستمرار التدخل الصيني المتنامي في موانئ المحيط الهندي، فان التركيز الاميركي سيكون على الدقم بحيث تصبح البحرية الأميركية قوة بحرية في المحيط الهندي-الهادي بدلا من قوة الأطلسي-الهادي، وهكذا ستظل البحرية الأميركية قريبة جدا من الخليج . وقد بدأت سفن البحرية في التقاطر على الميناء في زيارات تزايد وتيرتها. وتخطط سلطات الميناء لمنشآت محسنة لكي تتمكن، من استقبال حاملة طائرات نووية الدفع وغواصات نووية. وبالنسبة للصين، يمكن أن يكون الدقم ممرا للسلع الى افريقيا من دون ان يكون لها نفوذ فيه على غرار الموانئء الاخرى في المنطقة.

ومن شان مشروع كهذا في حال نجاحه ان يسحب (بالنسبة للبعض) بساط لعبة الموانئء من تحت ارجل الامارات و(بالنسبة للبعض الاخر) ورقة هرمز من يد ايران، لكن ايضا من شأنه اثارة توترات وخلافات جديدة لا سيما في ظل التنافس المحموم على السيطرة وتثبيت النفوذ. وفي غمرة التنافس الدولي والاقليمي، تبقى العين على حاضرة في كل الموانئء لا سيما الاريقية منها حيث تزداد استثماراتها الامنية والعسكرية فيها وتتضاعف لتشكل الخطر الحقيقي الذي يحجبه تنافس اهل المنطقة على مواردهم وصراعاتهم.

وبفعل هذه الصراعات، تحوّل بحر العرب والبحر الأحمر من بحيرتين عريبتين إلى ساحة دولية مفخخة ومفتوحة لكل راغب في إيجاد موطئ قدم له فيها.

(18٥)

ضربة "أرامكو": ما بعد النفط.. ما بعد ترامب

إسلام أبو العز



محمد شورباغى - النفط على حياض البحر

شهدت بداية تراجع مفاعيل الاتفاقية المذكورة، فقد انكمش الاعتماد الأميركي على النفط السعودي، ونفط دول الخليج بشكل عام، لصالح النفط الأميركي، ولا سيما الصخري منه على وجه التحديد، والذي وصل إنتاجه بين العامين 2013 و2016 إلى سقف الجدوى الاقتصادية، وهو ما لم يشذ في عهد دونالد ترامب، الذي سلك المسار ذاته، منذ دخوله البيت الأبيض، لجهة تقليل الاعتماد على نفط الشرق الأوسط ذي التكلفة السياسية والعسكرية والاقتصادية الباهظة. وإذا كان مسار تقليص الاعتماد على النفط الخليجي قد بدأ بالفعل في عهد باراك أوباما، فإن الجديد الذي حمله عهد دونالد ترامب يتصل بأوجه الاستفادة الأميركية من الأزمات السياسية – الاقتصادية التي تعيشها السعودية منذ بداية عهد الملك سلمان.

أوجه الاستفادة تلك، تتراوح بين إعادة إنتاج صناعة النفط الصخري الأميركي، وبين فرض شراكة أميركية في عملاق النفط السعودي "أرامكو"، إذ من المفترض أن يُطرح جزء (5%) من أسهم الشركة المملوكة للحكومة السعودية في أسواق المال العالمية قريبًا، كجزء من " رؤية 2030"، المشروع السياسي- الاقتصادي لولي العهد السعودي محمد بن سلمان، إذ يريد الرئيس الأميركي أن يتم هذا الاكتتاب في الأسواق الأميركية، لما يشكل ذلك من دفعة مالية قادرة على إنعاش الاقتصاد الأميركي بأصول ضخمة لكيان اقتصادي مثل "أرامكو"، والذي يمكن اعتباره الأكبر قيمة في تاريخ البشرية، حيث يقدر بما بين تريليونين إلى ثلاثة تريليونات دولار أميركي، ومن ثم فإن طرح 5 في المئة في أسواق المال والبورصات الأميركية من شأنه أن يشكل دفعة إيجابية لسوق متأزم، ومن المتوقع له الدخول في مرحلة من الانكماش المتزايد خلال الأعوام القليلة المقبلة. من هنا يأتي سعي ترامب للاستفادة من أزمة المملكة النفطية بعد ضرب المنشآت النفطية، والتي تتجاوز الأضرار المباشرة التي ألحقتها الطائرات المسيّرة، لتصل إلى الانخفاض المؤكّد في القيمة السوقية لـ"أرامكو" كلما تأخر طرح أسهمها نتيجةً للمخاطر العسكرية والأمنية المرمّنة

نهاية النفوذ السعودي؟

التداعيات الاقتصادية لضربة "أرامكو" ستمتد، بطبيعة الحال، إلى الشق السياسي، وتحديداً في مناهج الاستراتيجي، وهي تتمثل في إنهاء نفوذ السعودية على سوق النفط، وهي الورقة الأكثر أهمية اقتصاديًا وسياسيًا بالنسبة إليها؛ فتلعب

المملكة بأسعار النفط سبق أن وُظف خلال السنوات الأخيرة لأغراض سياسية لا يتفق معظمها مع المصالح الاقتصادية للولايات المتحدة، وبخاصة تلك المتعلقة بسوق الطاقة والنفط الصخري، ولا حتى، في بعض الأحيان، مع مصالح السياسات الخارجية الأميركية المتشعبة، حين حاولت الرياض مؤخرًا أن تضع نفسها في موقع "الشريك" لواشنطن سواء على مستوى الشرق الأوسط أو العالم. وبالإضافة للسابق، فإن ثمة أوجه الاستفادة السياسية والعسكرية الأميركية من هذه المتغيرات تتجاوز شكل العلاقات الإستراتيجية بين واشنطن والرياض في شكلها المعهود، والتي تتحول إلى نمط الصفقات والمضاربات المالية أكثر من كونها متغيرات تمس جوانب سياسية وأمنية وعسكرية في توقيت حساس تمر به المنطقة، فضغط ترامب في العامين الماضيين على بن سلمان للإسراع في طرح بعض أسهم شركة "أرامكو" في سوق المال الأميركية بجدد الأخير من البطاقة الراحبة التي يريحتها ويناور بها لتأمين وصوله إلى العرش بشكل رسمي، وهو ما يجعله ينتظر إلى ما بعد الانتخابات الأميركية المقبلة وتبيان نتائجها، فيما يرغب ترامب بدخول السباق الانتخابي الرئاسي الثاني بإحصائيات ونجاحات اقتصادية تزيد من رصيده أمام داعميه وناخبيه.

في هذا الإطار، يمكن تفسير مواقف ترامب الأخيرة بأنّه يريد إنهاء تلك ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان وتأجيله المستمر لطرح جزء من أسهم "أرامكو" في الأسواق الأميركية، حتى تحظى الشركة العملاقة ومنشآتها بمظلة حماية أميركية، وبالتالي فإن أي إجراء عسكري أميركي تدفع تكلفته السعودية لن يتجاوز كونه إجراءً دفاعيًا، سواء بنشر المزيد من القوات أو بيع منظومات جديدة للدفاع الجوي.

لعل نسق العلاقات الخارجية الذي أتى به ترامب، قد حوّل علاقات الولايات المتحدة بحلفائها في الشرق الأوسط، وعلى رأسهم السعودية، من علاقات إستراتيجية قائمة على محددات واضحة، تتعلق في الحالة السعودية بضمّان تدفق النفط، إلى نمط شركاتي عابر لمفهوم الدولة ككل، أضحت فيه علاقة واشنطن بحلفائها في المنطقة غير مرتبطة بمأسسة المصالح المشتركة، بحيث يتم ربطها بأجندة عمل الإدارة الأميركية، ما يعني أن أقصى مدى زمني لأي تفاهم سياسي هو مدة مكوث ترامب في البيت الأبيض، وأن محددات هذا التفاهم لا تتفصل عن نمط الصفقة التي دأب عليها رجل الأعمال، أي أنها صفقة مؤقتة مرحلية، أهم ما فيها أن تُترجم إلى أرقام تجعله "رئيسًا ناجحًا" في نظر قاعدته الانتخابية.

المتغير هنا لا يقتصر على انتهاء حجة الولايات المتحدة للنفط السعودي الرخيص في سعره نسبيًا طيلة العقود الماضية، ولكن في كلفة رعاية المملكة وصيانة سياساتها خلال السنوات الأخيرة، وكذلك كلفة التواجد الأميركي في الخليج، من باب حماية الحلفاء الذين قال عنهم ترامب "لا يمكن وصف علاقة الحماية التي تكفلها لهم سوى أنها استغلال أحادي الجانب منهم واحتيال ندفع نحن فقط ثمنه"، وبالتالي، فإن ما فعله الرئيس الأميركي طيلة السنوات الماضية، وما قد يفعله خلال السنوات الخمس المقبلة، إذا ما قالت الصناديق كلمتها لصالحه، قد يشكل أساسًا لتحول علاقات الولايات المتحدة والسعودية في عصر ما بعد النفط، والذي شكل حجر الزاوية في دور المملكة الوظيفي منذ نشأتها.

(*) كاتب مصري

الأردن و "إسرائيل" .. برودة وعلاقة منهكة

سميح المعاينة



ناجي العلي - فلسطين

على أعتاب مرور حوالي ربع قرن على توقيع الاردن معاهدة سلام مع كيان الاحتلال، كان رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو يعلن نيته ضم مناطق غور الأردن في الضفة الغربية، اذا فاز في انتخابات الكنيست التي جرت مؤخرًا، وهي تصريحات أضافت إلى العلاقة الأردنية الإسرائيلية مزيدًا من البرودة والتوتر اللذين تعاني منهما أصلاً نتيجة السياسات الصهيونية.

والملفت للإنتباه، أنه بعد هذه التصريحات بأيام كان الملك عبدالله الثاني يعلن خلال زيارته الاخيرة لألمانيا ان مثل هذه التصريحات والمواقف الإسرائيلية ستؤثر على العلاقة بين الطرفين .

الأردن وعبر تاريخ الصراع العربي الصهيوني كان من المؤمنين والداعين لحل سياسي وسلام حقيقي، وعندما ذهب إلى منصة التوقيع عام 1994 كان قد سبقه ياسر عرفات، قبل سنة، في التوقيع على اتفاق أوسلو، وقبلهما كان السادات قد وقع اتفاق كامب ديفيد (1978)، وكان الأردن يأمل في ان تكون المعاهدة بمثابة طريق إلى دفن مخاوف كبيرة لدى الأردنيين مثل فكرة الوطن البديل والتكوين اي ان يكون الأردن دولة الفلسطينيين على حساب هويتهم وحقوقهم وعلى حساب الهوية الوطنية الاردنية.

وفي عهد الملك عبدالله كان هناك تحول جذري في التعامل الأردني مع القضية الفلسطينية تمثل في عدم وجود أي رغبة لدى الاردن في منافسة منظمة التحرير الفلسطينية على ارض الضفة الغربية أو على حساب سكانها، وأن ما يريده الأردن هو ان يتحقق للفلسطينيين حقهم في دولة مستقلة حقيقية على التراب الوطني الفلسطيني، والطريق هو عملية سلام حقيقية، وكان الأردن يعلن ان إقامة الدولة الفلسطينية الحقيقية مصلحة اردنية عليا، لأن وجود هذه الدولة يطفئ قلق الأردنيين من مشاريع التوطين والوطن البديل .

وكان حرص كيان الاحتلال على ان تكون العلاقة مع الأردن بعيدة عما يجري على المسار الفلسطيني، وكان هذا ممكنا في بعض المسارات الثنائية، لكن جوهر العلاقة يتأثر بشكل كبير بالسياسات الصهيونية تجاه الفلسطينيين، ولهذا لم يكد يمر عام دون أن تدخل هذه العلاقة محطات توتر مختلفة، سواء في اي عدوان يقوم به الاحتلال تجاه الفلسطينيين او الحروب او الانتفاضات التي قام بها الشعب الفلسطيني، أو التجاوزات والعدوان على المقدسات في القدس اضافة الى ادارة حكومات الاحتلال ظهرا لأي عملية سلام تقود إلى إعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه الكبرى .

وقصلا عن ذلك، كان هناك فعل صهيوني مباشر تجاه

الأردن مثل محاولة اغتيال رئيس المكتب السياسي في حركة "حماس" سابقًا خالد مشعل التي وقف فيها الملك حسين رحمه الله موقفا جعله يرهن استمرار المعاهدة مقابل إنقاذ حياة مشعل، وكانت تلك الحادثة محطة مفصلية في العلاقة ستبقى راسخة في ذاكرة الأردنيين .

وخلال السنوات الأخيرة، استمرت السياسة الصهيونية المستفزة للأردن، وأصبحت العلاقة بين الطرفين محرجة للدولة الاردنية أمام شعبها، وخاصة في ما يتعلق بالمقدسات الاسلامية والمسيحية في القدس التي نصت المعاهدة على أنها تحت الوصاية الهاشمية، كما أن السياسة الصهيونية تجاه الفلسطينيين وقتلها عملية السلام معهم زادت البرودة وانهدكت العلاقة التي تتعرض مع كل حدث او عدوان صهيوني إلى مطالبة نيابية او شعبية إلى قطعها وإلغاء المعاهدة .

ربع قرن على معاهدة السلام، أثبتت ان فكرة السلام لدى الاحتلال ليست غاية او جزء من استراتيجية علاقتها مع المحيط العربي بل هي وسيلة مرحلية، وكما انها عملية ميمتة مع الفلسطينيين، فإنها مع الأردن أيضا في وضع سياسي حرج، فحتى المتحمسين للسلام مع الاحتلال ارادوه لإطفاء مخاوف الأردنيين من مخططات التوطين والوطن البديل، لكنها مخاوف ما زالت قائمة، وحكومات الاحتلال تمارس ما يزيد من الضغط والاحراج للأردن أمام الأردنيين .

(*) وزير إعلام أردني سابق

السادات وإسرائيل.. صراع الأساطير والأوهام

منى سكينة

عندما قدّم أنور السادات تنازلات عسكرية كبيرة وغير ضرورية في مفاوضات فك الاشتباك مع إسرائيل إثر حرب 1973، بكى اللواء عبد الغني الجمسي (رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة خلال حرب 1973 ورئيس الأركان في 12 كانون الأول/ ديسمبر 73، أي إثر انتهاء الحرب بأسابيع عدة)، أما رئيس أركان الجيش المصري في أثناء الحرب اللواء سعد الدين الشاذلي، فقد عاش صراعاً نفسياً عنيفاً إذا ما كتّم أمر كذب السادات على القيادة السورية، فقرّر "قول كلمة حق لوجه الله والوطن" ..

أما قصة تلك الرسالة المشؤومة التي أرسلها السادات صباح يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1973 (بعد مرور 14 ساعة على بدء الحرب) عبر "القناة السرية" إلى الديبلوماسي الأميركي الشهير هنري كيسينجر، فلها ما لها من آثار مدمرة، لعل أخطرها قرار التحول من الصراع إلى التسوية، غداة تلك الحرب، وكانت الترجمة بفتح قناة اتصال سرية بين أنور السادات وجولدا مائير .. وهذا حصل منذ الكيلو101 في تشرين الثاني/نوفمبر 73. لاحقاً، تم تنويع هذا المسار بزيارة السادات لإسرائيل (تشرين الثاني/ نوفمبر 1977)،

وعقده إتفاقيات كامب دايفيد التي أخرجت مصر من قضية فلسطين وأبعدت فلسطين عن أولويات مصر. وتتعدد الروايات حول "قناة الإتصال المصرية السرية مع إسرائيل عبر السفارة الأميركية في القاهرة" التي يطلق عليها البعض مسمى "عملية الدكتور عصفور"، فيما يقول آخرون أن "عملية عصفور" لم تكن قناة إتصال بل عملية تجسست خلالها المخابرات العامة المصرية على السفارة الأميركية بالقاهرة منذ العام 1968 ولغاية 1971 ولم يعلم بها أنور السادات إلا صيف 71 وتوقفت إثر ذلك.

في كتابه بعنوان "السادات وإسرائيل - صراع الأساطير والأوهام" (576 صفحة - صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت) يستخدم المؤلف الدكتور مجدي حمّاد غربالاً ذي ثقوب ضيقة، ليلتقط عصارة مذكرات القادة العسكريين ممن خاضوا حرب العام 1973 من مصريين وإسرائيليين ومثلهم من القادة السياسيين المواكبين من الطرفين، أو ممّن كانوا في قلب الحدث، وعلى مشارفه، وفي كواليسه. ثمة تساؤل يوازي ما يثيره أنور السادات فينا من غضبٍ، يتعلق بإصرار شعراوي جمعة (الرجل الثاني في مصر أيام الرئيس

المصري جمال عبد الناصر) على قراره بدعم إختيار السادات رئيساً للجمهورية بعد وفاة عبد الناصر - برغم إعتراض من سألهم عن هذا "المقلينجي" - بقوله لهم "خلاص، سبق السيف العزل" (ص 63). يبقى السؤال الكبير والخطير: "لماذا قرر السادات إبلاغ إسرائيل بموعد إنطلاق الحرب؟" (ص 264)، في حين يروي آخرون أن السادات لم يبلغ إسرائيل بقراره بشن الحرب وتوقيتها، وأن من أبلغها هو الجاسوس أشرف مروان (صهر الرئيس جمال عبد الناصر) قبل 40 ساعة من شنّها.. وهو بلّغ عن موعد الساعة 6 غروباً لأنه لم يعلم عن التعديل الذي أجراه احمد

اسماعيل علي (وزير الحربية الذي أقصاه عبد الناصر وأعاد السادات) يوم 3 تشرين الأول/أكتوبر، بالاتفاق مع القيادة السورية.

أما مصدر "النبا الذهبي" الذي تم نقله إلى مسؤول "الموساد" في القاهرة، فتعدد الروايات بشأنه، بين قائل إنه اشرف مروان أو أنه جاسوس مصري آخر أهم من مروان؛ وهو من بلّغ يوم 12 تشرين الأول/أكتوبر عن التقدم الى المضائق.

يوثّق مجدي حماد في الفصل الرابع من كتابه الجديد حول أنور السادات وإسرائيل، مجريات "حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973"، حتى يكاد هذا الفصل، بما تضمنه من معلومات وتفاصيل سياسية وعسكرية، يختصر الكتاب على أهميته، ومنها حصيلة اللقاءات السرية التي عقدها مستشار السادات لشؤون الأمن القومي حافظ اسماعيل مع مستشار الرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون لشؤون الأمن القومي، هنري كيسنجر؛ إتفاق السادات مع الرئيس السوري حافظ الأسد قبل بدء الحرب على أن خطة الجيش المصري ("الخطة جرائت")، المصدقة من جمال عبد الناصر والتي حددت الهدف النهائي للحرب وإطلاع حليفهما الاتحاد السوفياتي عليها؛ الرسالة المشؤومة وفيها "اننا لا نعزم تعميق مدى الإشتباكات أو توسيع نطاق المواجهة" ..

يقارب المؤلف الكثير من خطوات السادات غير المفهومة ومنها لغز إصراره على عدم ضرب مطار العريش الذي إستقبل الجسر الجوي الأميركي لنجدة إسرائيل بالرغم من إمكانية ذلك، وكذلك إقدامه على إهداء أسلحة سوفياتية متقدمة للأميركيين بعد إنتهاء الحرب، وتهممة إضعاف الجبهة السورية (مذكرات الشاذلي)، وعدم إتخاذ القرار في الوقت المناسب

وعدم تصفية ثغرة الدفرسوار، والقبول بوقف إطلاق النار والذي لم تكن سوريا تعرف به "لأنه بحسب قول السادات سيعرفون من الاتحاد السوفياتي" (ص 323)، واللقاء العاصف بين السادات والسفير السوفياتي فينوغرادوف، وإجهاض السادات قرار حظر النفط، وصولاً إلى قرار فك الاشتباك "الواقعة التي أبكت الجمسي"، ودفعت باللواء الشاذلي إلى رفع صحيفة إتهام جنائية في حق السادات باتهامه بالخيانة العظمى.

إشارة وإقتباس

أما الإشارة، فتمثل في ما ذكره مجدي حماد من أن صبر رئيس وزراء الإتحاد السوفياتي ألكسي كوسيجين نفذ خلال حديثه مع أنور السادات الذي حاول إلقاء اللوم على تقصير الإتحاد السوفياتي بإمداد مصر بالسلاح، وقال له: "قدمنا إليكم ما طلبتموه منا، وحتى هذه اللحظة (يوم 17 تشرين الأول /أكتوبر) فإن الجسر الجوي السوفياتي نقل إلى مصر أكثر من ستة آلاف طن من المعدات، وحاربتهم بالمعدات المصرية في الأيام الأولى من القتال بطريقة أثبتت كفايتها وكفاءتها، وبعد ذلك فإن إدارة المعركة كانت

في أيديكم ونحن لم نقرب منها، مع أنه كانت لنا ملاحظات على الطريقة التي دخلتم بها المعركة، وحققتم انتصاراً مبدئياً شهد به العالم، ثم توقفتم بعد ذلك من دون سبب مفهوم". وتابع كوسيجين: "تركتكم حلفاءكم على الجبهة الشمالية (سوريا) حتى يضربهم العدو ثم يتحول إليكم" (ص 337 - 338). أما سعد الدين الشاذلي، فيذكر " .. فيما عدا القوات الجوية، فلقد كان لدينا قبل حرب أكتوبر أسلحة ومعدات سوفياتية لا تقل كثيراً عما تملكه إسرائيل. وعندما إندلعت الحرب، أقام الإتحاد السوفياتي جسراً جويّاً وبحريّاً نقل خلاله 78 ألف طن إلى مصر وسورية، وأقامت أميركا جسراً جويّاً وبحريّاً نقلت خلاله 61105 أطنان إلى إسرائيل" (ص 82).

والإقتباس هو الآتي: يذكر أليكسي فاسيليف في كتابه "الملك فيصل - شخصيته وعصره وإيمانه" (638 صفحة - دار الساقى) الآتي: "صار السادات يميل إلى فكرة الصفقة الأنفرادية قبل الحرب العربية - الإسرائيلية في 1973، إلا أن الرئيس المصري أبقى تلك الفكرة طيّ الكتمان فأحفاها عن الحليفة المباشرة سورية وعن المملكة العربية السعودية" (ص 463 من الكتاب).. و"أبلغ السادات الملك فيصل أن الحرب هي المخرج الوحيد من الطريق المسدود، فوافق

العاهل السعودي على هذا الرأي" .. "كان الملك على علم بقرار أنور السادات وحافظ الأسد ببدء الحرب ضد إسرائيل في الأشهر القريبة المقبلة" .. بعد لقاء سري في الرياض، كتب السادات: "قال فيصل عندي رجاء واحد، إذا كنت ستشن الحرب لا توقفها بعد بضع ساعات أو أيام. فلتكن معركة طويلة". (ص 480).

هكذا، تمكنت إسرائيل من تركيز مجهودها العسكري على الجبهة السورية حتى ردت القوات المسلحة السورية عن المناطق التي كانت قد نجحت في تحريرها في الأيام الأولى للحرب، ثم إستدارت إلى الجبهة المصرية لتحدث "الثغرة" الشهيرة في منطقة الدفرسوار وتحاصر الجيش المصري الثالث ومدينة السويس (ص 250) وعنها قال الجمسي: إن النتيجة المباشرة لهذه "لوقفه التعبوية" (في العلوم العسكرية تعني التوقف المؤقت للقتال على أن يستأنف في توقيعات ملائمة، لكن السادات طلب صيحة 8 تشرين الاول /أكتوبر تأجيل تطوير المرحلة الثانية من الهجوم المصري بعد نجاحه) هي تركيز إسرائيل لمجهودها الحربي ضد الجبهة السورية، حيث حققت نجاحاً هناك. (ص 290 - 291).

وهكذا إنتقل الصراع من "حال اللاسلم واللاحرب التي سادت من عام 1967 الى عام 1973 إلى "حال



بهجت عثمان - مصر

الناصر واللاهزيمة"، بمعنى أن العرب لم يحققوا نصرًا حاسمًا لكنهم لم يعودوا منهزمين من ناحية، وأن إسرائيل لم تنزل بها هزيمة ساحقة لكنها لم تعد منتصرة من ناحية أخرى. هذه المعادلة الجديدة التي تمخضت عنها الحرب هي التي هيأت الأرضية لتدخل كيسنجر. (ص 251 - 252).

تركة جمال عبد الناصر

يدعي أنور السادات (الفصل الأول من الكتاب) أن جمال عبد الناصر ترك له تركة مثقلة "فأوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية في غاية السوء وكل مرافق البلد منهارة، ولن تستطيع مصر أن تخرج من أحوالها المتردية إلا إذا حصلت على السلام، وكزت كل مواردها للتنمية، وعندئذ ستكون مصر في مركز أقوى لمساعدة الفلسطينيين في حل مشكلتهم" (ص 17)، لكن حماد يقدم من التحليل والأدلة ما يدحض هذه المقولة - "التركة" بمحاججته لثلاثة عناصر في سياسة جمال عبد الناصر:

أولًا، الموقف الأيديولوجي والسياسي:

وقد نجم عن مشاركة عبد الناصر في حرب فلسطين عام 1948، وترسخ في إدراكه عقب إنتهاء هذه الجولة الأولى من الصراع أن المعركة الحقيقية مع إسرائيل لابد أن تبدأ بتغيير نظام الحكم في القاهرة (إنهاء عهد الملك فاروق)، وأن المؤسسة العسكرية في إسرائيل والمُشكّلة أصلًا من عناصر العصابات الصهيونية الإرهابية التي تكوّن فيها فكريًا وتنظيمًا "جيش الدفاع الإسرائيلي"، تعتمد أساسًا في فكرها وخططها وتصرفاتها على القوة والإرهاب والعنف مع العرب من أجل إنشاء الوطن القومي اليهودي الإسرائيلي على حسابهم، بل إعتبر إسرائيل العدو الأول للعرب (ص 18 - 19).

وخلص عبد الناصر إلى توجهات أساسية: أولها، أن أعداء الثورة والأمة يتمثلون في حلف ثلاثي: الإستعمار وإسرائيل والرجعية العربية، وثانيها، أن الولايات المتحدة التي تقود هذا التحالف هي العدو الاساسي للامة العربية (ص 20). وبقي إلى حين رحيله يرفض الحلول الجزئية للصراع العربي-الإسرائيلي (ص23)، و"أن دور مصر العربي هو قدرها"(ص 36)، وأن الفيصل في كل معارك التاريخ: إنتصار أم انكسار الإرادة؟ (ص 26)، فأسس لحرب الاستنزاف، ووضع خطة "الجرانيت" التي حققت نصرًا في حرب 73 سرعان ما أضعاه السادات. فمن هو السادات؟

إن حياة أنور السادات في بيت والده كانت قاسيه للغاية، فقد كان يضم ثلاث زوجات وكان والدته هي الزوجة الأولى لكنها الأخيرة في المعاملة من والده ومن أهل البيت جميعًا إلى حد "العبودية" بالمعنى الحرفي للكلمة بعد أن كانت أسرته قد تحررت من "العبودية" بالمعنى الرسمي، ما جعله غير قادر على الشعور بالانتماء الى أي مكان. كان تواقًا الى عطف الناس وإلى فهمهم وكان مستعدًا لأي شيء في سبيل الحصول على قبولهم ورضاهم.

بعد لقاء سري في الرياض، كتب

السادات: "قال فيصل عندي رجاء

واحد، إذا كنت ستشن الحرب لا

توقفها بعد بضع ساعات أو أيام.

فلتكن معركة طويلة"

إن "السادات الهارب" أصبح "السادات الحالم" و"السادات الحالم" تحوّل إلى "السادات الممثل" (ص 86).

لقد قرر السادات إنتهاج استراتيجية المصالحة. ويوضح الفريق أول محمد فوزي أبعاد ذلك التحوّل ومغزاه في مذكراته بعنوان "استراتيجية المصالحة"، بأنه "ينوي فك الاشتباك مع الولايات المتحدة، ومن أجل ذلك، أسقط خيار التسوية الشاملة"(ص 51). ويركز حماد على تحليل "شخصية السادات" منذ صعوده إلى السلطة في مصر عام 1970 إلى هبوطه في مطار "اللد" الاسرائيلي عام 1977، ويحتل الانقلاب الذي قاده على "المجموعة الناصرية" في أيار/مايو عام 1971 والذي يعتبره المرحلة الأولى من الإنقلاب على مشروع جمال عبد الناصر برمته أهمية خاصة في هذا السياق، "فقد قال السادات وكتب الكثير عن ثورة يوليو 1952، وبالغ بالإشادة والمديح بخطها، ثم جاءت مرحلة ما بعد أحداث أيار/ مايو عام 1971 فإنقلب موقف السادات من النقيض إلى النقيض (ص 54). وهذا يفسر إقدام السادات على سحب كل ما كتبه وما نشره في السابق فأمر بعد وصوله إلى السلطة بسحب كل كتبه من الأسواق والمكتبات وهي "ثلاثون شهرًا في السجن"، "ثورة على النيل أو قصة الثورة كاملة"، "صفحات مجهولة"، و"يا ولدي هذا عمك جمال"(ص 55).

آراء عديدة يقتبسها المؤلف مما قيل في السادات، لا سيما لجهة إزدواجية سلوكه السياسي ومنها ما



كيري واغورن - كندا | من موقع world political caricatures gallery

وزير الخارجية بعد حرب 73 في كتاب مذكراته بعنوان "التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط" عن "أحلامه بالعظمة" وعن أنه كان "تواقًا لأن يوقع أية أوراق مع الأميركيين ففقد أهم أوراقه.. وأضعف من مقدرة سورية على المساومة في مرحلة لاحقة حول مشكلات أكثر تعقيدًا وأهمية"(ص 70). ناهيك عن وصف كيسنجر لغولدا مائير(رئيسة وزراء إسرائيل في حرب 73) من أن "السادات، في ما يبدو لي، وقع

السادات كان قد دخل عالم

العمل السري، فلجأ إلى التمويه

والمغامرة وتدير المؤامرات ..

بهذه الصفات، استطاع دائمًا أن

يفاجئ أعداءه بحركة غير متوقعة

أو محسوبة

الاجتماع الخطير لم يسجله أحد غير كيسنجر في مذكراته (ص 64)، وما فعله صباح يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر 1973 متمثلًا بتلك "الرسالة المشؤومة " التي أرسلها عبر القناة السرية إلى كيسنجر في شأن نياته القادمة (ص 67). أو من خلال ما أفرجت عنه وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) في تشرين الثاني/ نوفمبر عام 2013 عن 250 وثيقة سرية في 1400 صفحة تتعلق باتفاقيات كامب دايفيد التي شارك فيها الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر عام 1978 مع قادة مصر وإسرائيل، وتشير إحدى تلك الوثائق التي ترجع لعام 1979 إلى أن وكالة الاستخبارات المركزية "استخدمت وسائل مراقبة وتنتصت على كل من السادات ومناحيم بيغن(رئيس الوزراء الإسرائيلي)"، وقد وصفت التقارير شخصية السادات بأنه "كان يريد بشدة أن يظهر كصانع سلام، وأنه كان له شغف كبير بالظهور والشهرة". (ص 69).

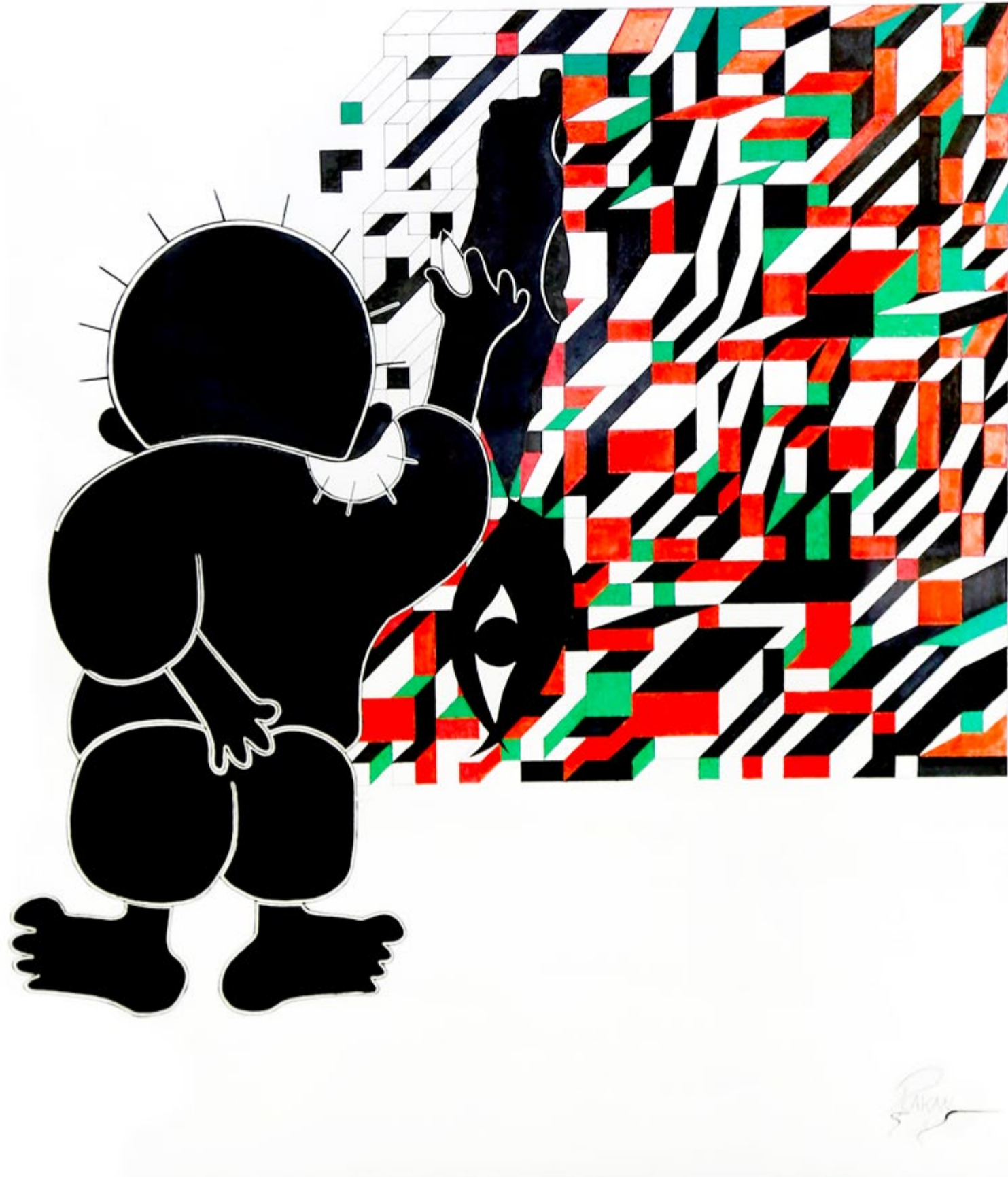
أما شهادة الفريق سعد الدين الشاذلي في كتابه بعنوان: "حرب أكتوبر: مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلي"، فتتضمن إشارة "إلى أن إحدى خصائص شخصية السادات هي الكذب"، ويروي كيف "مارس السادات الكذب على القيادة السورية من قبل أن تبدأ الحرب عام 1973 ثم في أثنائها"(ص 76)، كما يروي الشاذلي علاقة التقارب المصري - الاميريكي الذي أدّت السعودية دورًا بارزًا فيه، بهاجس القضاء على الوجود السوفياتي في مصر، بوصفه من "أهم أولويات السياسة الأمريكية في المنطقة"(ص 72- 73)، متوقعًا عند دور وزير الدفاع السعودي يومها الأمير سلطان، وكمال أدهم مدير المخابرات السعودية إذ "تكشّف لاحقًا أن أدهم كان يشغل مهمة "المنسق الإقليمي في الإستخبارات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط"، مع وثيقة جرى نشرها بعد اقتحام السفارة الأمريكية في إيران عام 1979 توضح أن الاستخبارات المركزية الأمريكية قد أنشأت مركزًا لها في القاهرة لمكافحة الشيوعية تحت رعاية كمال أدهم وكان يعاونه من مصر حسن التهامي"(ص 72 - 73).

للتذكير، فقد كتب اللواء الجمسي في مذكراته "أن إسرائيل خططت للحرب مع مصر قبل نشوب حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973؛ ففي الوقت الذي كنا نخطط فيه لتحرير أراضيها كانت إسرائيل تخطط لإحتلال مزيد من الأراضي؛ فقد وضع دايان وزير الدفاع الإسرائيلي في أوائل عام 1973 خطة عسكرية، وكان تحقيقها يحتاج إلى عوامل أهمها: أولاً: ضم جنوب لبنان إلى إسرائيل؛ ثانيًا، ضم أجزاء أخرى من سوريا؛ ثالثًا، إنشاء خط محصن يشبه خط بارليف في غور الأردن لحماية المستعمرات، ورابعًا، تحويل سيناء إلى مركز تجارب للمفاعلات الذرية" (ص 244).

(*) صحافية لبنانية

في عراء "الروبوتات"

زاهي وهي



هل يمكن للعالم أن يستمر على هذا النحو؟ سؤال يُورق كل من يعمل عقله، ويفكر في شؤون الحياة وشجونها، ويحلم بأن الغد يجب أن يكون أفضل من اليوم. فإذ به يرى العالم يرتد على عقبه، ويهوي إلى أسفل، على الرغم من كل الذكاء التكنولوجي والتقدم العلمي.

المفارقة المؤلمة أو الطامة المحزنة، أننا كلما أفرطنا في استخدام الأجهزة الذكية ازدادت عقولنا تخلفاً أو جموداً، وكأنّ الآلة التي ابتكرها الإنسان راحت تحلّ مكان الإنسان لا فقط في ميدان العمل، في المصانع والمعامل والمؤسسات الكبرى، بل أيضاً في ميدان التفكير. وإلا كيف نفسّر هذا التراجع الهائل في مستوى انتاج الفلسفات والأفكار والنظريات الإنسانية، وطغيان ثقافة السوق على كل ما عداها، وتحول الكوكب إلى سوبر ماركت معولم يفعل إدارته فعلياً من قبل الشركات العملاقة العابرة للقارات.

يكفي أن يكون شخص مثل دونالد ترامب رئيساً لدولة هي الأكبر من حيث حجم الاقتصاد والقوة العسكرية والصناعات الكبرى، كي ندرك في أي عالم نعيش. فالرجل الآتي من عالم الأعمال والمقاولات يريد إدارة العالم بوصفه شركة كبرى لا أكثر ولا أقل. لذا نسمعه يردد دائماً أرقام صفقات عقدها أو سيعقدها والأرباح التي يجنيها من علاقته بهذا الحاكم أو ذاك، غير آبه بأي معيار إنساني وأخلاقي في العلاقات بين الدول والشعوب، ولا حتى بين الأفراد. مرةً نسمعه يسخر من نائبة منتخبة في بلاده بسبب أصولها الأفريقية، ومرةً أخرى يهزأ من بدانة رجل سمين لأنه ظنّه من معارضيه، وغالباً ما يستخدم منصبه في "تويتر" لإهانة خصومه أو حتى معاونيه السابقين المطرودين من "بيته" الأبيض، أو لشتيمة الهاربين (المستقلين) منه لأنهم وجدوه جيحماً! الغبر الجيد في سلوك ترامب وسياساته وتصريحاته وتقريدهات وانقلابه الدائم على نفسه وعلى مساعديه، أنه يكشف بوضوح وصراحة ونزق وتهور ما تحاول الرأسمالية اخفائه أو التستر عليه، وهو سعيها الدائم إلى ما يمكن اختصاره بكلمة واحدة: المال. لا شيء غير المال في عقل هذا الرجل، وهو في الحقيقة العقل الفعلي والحقيقي للرأسمالية المعولمة، أو لما يسميه البعض رأسمالية الشركات.

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

وحسباً يفعل ترامب، لماذا؟ لأنه يُعزي النظام الرأسمالي العالمي أو المعولم من كل الشعارات والأقنعة التي يتستر خلفها حين يبشّر زوراً وبهتاناً بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيما ينتهك في الواقع كل تلك القيم سواء في تحويله الكائن البشري في مجتمعاته إلى مجرد

العالم، تراجع الخدمات التي تقدمها الدول لمواطنيها، ارتفاع منسوب العنصرية والشوفينية لدى كثير من الشعوب والمجتمعات، صعود اليمين المتطرف في أكثر من مكان، والأخطر إشعال الحروب هنا وهناك، خصوصاً في منطقتنا الواقعة دائماً على خط الزلازل الجيوسياسية.

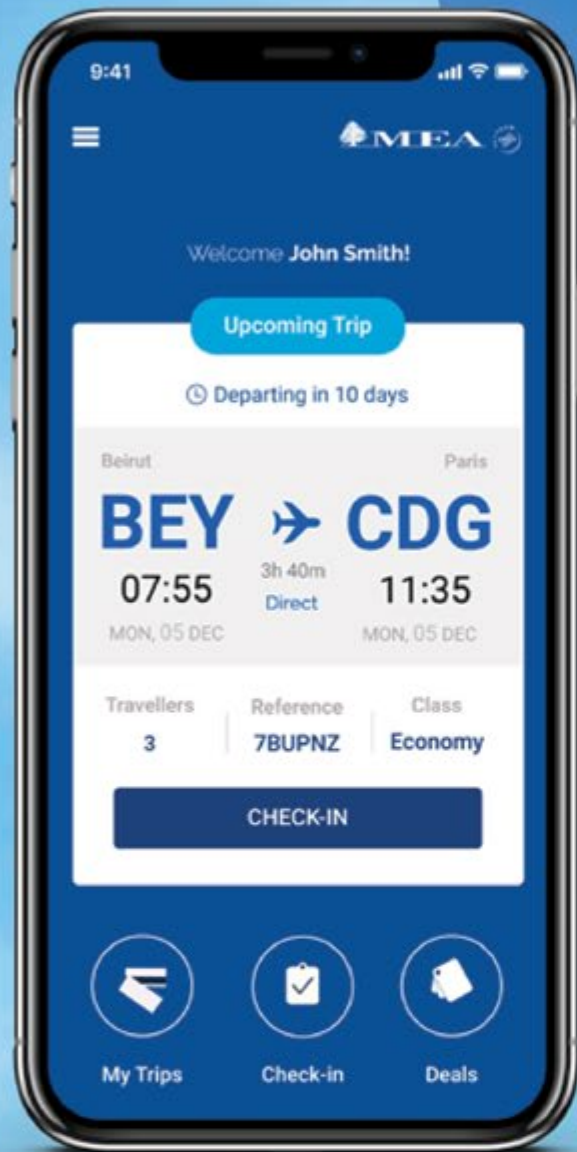
يمكن للمحللين الاستراتيجيين وعلماء السياسة والاجتماع الغوص أكثر في تحليل عالم اليوم الذي نحيا في ظل مصائبه وأزماته، لكن تظل للمثقف، أيّاً كان ميدانه الإبداعي، هواجسه وتساؤلاته. إذ من غير المعقول ولا الممكن بقاء الحال على ما هو عليه. لا يمكن للإنسان أن يتجرد من إنسانيته، أن يتحول مجرد آلة أو زبون في سوق العولمة. ففي رضائه بهذا الواقع تكمن بذرة فئائه. فما يسميها ستيفن هوكينغ "زوّتتة" العالم (حلول الروبوت مكان الإنسان) ستقود حتماً إلى الفوضى والهلاك. وطالما بقي المال هو الرب الحقيقي، وليس فقط الهدف، للنظام الرأسمالي المعولم فإن النتيجة الحتمية هي المزيد من الحروب والإفقار والفوضى غير الخلاقة.

ما يحتاجه الإنسان اليوم قبل الغد، بل ما هو بأمتس الحاجة إليه، انتاج فكر جديد يستند إلى فلسفات ونظريات تعيد الاعتبار للإنسان وحقّه الحقيقي (لا الشعارتي) في الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة. فخبرات الأرض ينبغي أن تكون لكل بنينا، وهذا الأمر لا يتحقق سوى بولادة تيارات إنسانية عابرة للقارات والجنسيات، أو ما كنا نسميها يوماً تيارات أممية، تطيح بالخطاب العنصري والشوفيني المقيت، وتحمل همّ الإنسان آتّي كان وأيّاً كان. ومثل هذا الفكر الإنساني الذي تناضل لأجله الكثير من الحركات المعارضة والمعتزّة هنا وهناك، يستطع متى تحوّل تياراً أمميّاً فعلاً أن يصنع الفارق. ولن يخلو العالم من فلاسفة ومفكرين ومثقفين يحتاجهم العالم اليوم أكثر من أي وقت مضى!

فما يقوله الحدس قبل الوعي، والإدراك قبل المعرفة، أن الحياة لن تستمر على هذا النحو. يجب أن تولد من هذا المخاض المومج أفكار وفلسفات تنويرية تعيد الكائن إلى رشده، ترد له قيمته كإنسان، تحرره من برائن ثقافة السوق التي أفرغته من مضمينه الروحية والفكرية وجعلت البشر مجرد روبوتات مبرمجة يتم تحديثها من بُعد لأجل مزيد من الاستهلاك!

MEA MOBILE APP

A great app for your travels



KEY FEATURES

- ➔ Book a trip with only 4 steps
- ➔ Choose your seat & check in
- ➔ View your trips & check your miles
- ➔ Check your flight status
- ➔ Check your baggage allowance
- ➔ Login to passenger profile

AVAILABLE ON:

